إلى القارئ

حول الخطة الشاملة للثقافة العربية

بقلم : البشير بن سلامة

انعقد بتونس من 26 الى 28 نوفمبر 1985 مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية فى الوطن العربى للنظر فى الموضوع الرئيسى للمؤتمر الا وهو الخطة الشاملة للثقافة العربية (الواقع والمستقبل) .

واذا كان هذا المؤتمر يعد عاديا لانه انتظم فى الوقت المضروب له لمعالجة قضايا الثقافة فى الوطن العربى اذ أن وزراء الثقافة العرب يجتمعون للمرة الخامسة فانه يكتسى فى دورته هذه أهمية كبيرة لانه انكب على موضوع هام يتعلق باستراتيجية الثقافة العربية .

ولكن التوصيات لم تشمل النظر فى الخطة بل هى تناولت عدة مواضيع لا بد من استعراضها لاهميتها حتى يطلع عليها القارىء الكريم ويتعرف الى هذا الجانب من النشاط الذى يعظم من يوم الى آخر ويصبح له تأثيره البالغ فى حياة البشر .

فلقد نظر المؤتمر فى الموقف التنفيذى لقرارات الدورة السابقة واستعرض وناقش وصادق على التوصيات المتعلقة بالتراث الحضارى والآثار وبالمسرح العربى والفنون التشكيلية وثقافة الطفل العربى وتنمية الثقافة العربية الاسلامية فى الخارج . ثم تطرق الى النظر فى الموضوعات الثقافية الخاصة بالمشروعات الكبرى مثل الموسوعة العربية والمركز العربى للتعريب والترجمة

والنشر والمعهد العربى للترجمة وعلاقة المنظمة بالقمر الصناعى ولجنة الالكسو لقضايا الاتصال فى الوطن العربى ومجابهة الغزو الثقافى الصهيونى للثقافة العربية والمكتبة القومية المركزية والعلاقة مع المنظمات والهيئات الدولية العاملة فى الميدان الثقافى .

ثم بت المؤتمر فى دراسات التقويم والجدوى المتعلقة بالانشطة الخاصة بالاحتفال باستقبال القرن الخامس عشر الهجرى ومتحف الحضارة العربية بطليطلة وصيانة المدن التاريخية العربية الاسلامية والمركز العربى للابداعات والبحوث المسرحية .

وجاء دور النظر فى التشريعات الثقافية المتعلقة بالقانون النموذجي لحماية المخطوطات العربية ومشروع الاتفاقية العربية لتسيير الانتاج الثقافى ومقترحات حول أساليب رعاية المبدعين ماديا وأدبيا والاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف .

وبديهى أن مجرد استعراض هذه المواضيع التى تطلبت اجتماعات عديدة ومشاورات متواصلة بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والدول العربية ينم عن حجم ما تقوم به هذه المنظمة من عمل كبير فى سبيل اشاعة الثقافة العربية وتنظيم هياكلها والتقدم بها فى سبيل بناء مجتمع افضل . وإن بلورة هذه المواضيع والبحث عن طرق تنفيذها والسهر على ابلاغها الى المواطن كل هذا يعد جهدا كبيرا يجب ان نعترف بضخامته وبجدواه لان فى ابراز هذه القضايا والسعى الى تطبيق ما يمكن تطبيقه من القرارات والمشاريع هو فى حد ذاته خدمة للثقافة وحرص على جعلها تتبوأ المكانة اللائقة بها مع سائر أصناف نشاط البشر واخراجها من النزوع الى تهميشها واعتبارها مجرد ترف الى حيز الواقع المعيش المتفاعل مع الجوانب الاخرى الضرورية للحياة الملتصقة لصوقا متينا بمقتضيات الوجود .

وإن هذا الذى قامت به المنظمة وتقوم به منذ سنوات إنما هو جهد موفق ما فى ذلك شك بعمل دائب يشرف عليه الدكتور محيي الدين صابر ونخبة

من المثقفين العرب نذكر منهم خاصة الدكتور محمد يوسف نجم المقرر العام للمؤتمر ورئيس اللجنة الدائمة للثقافة العربية ولكن المنظمة ليست وحدها المعنية بالتنفيذ بل ان الدول في الاقطار العربية هي التي من واجبها العمل على ذلك والمضي قدما في سبيل الخروج بهذه القرارات والتوصيات من حيز القوة الى الفعل .

ولهذا فان عمل المنظمة بالنسبة الى ما ذكرته وكذلك فيما يتعلق بالخطة الشاملة انما هو عمل جليل . وفكرة الخطة الشاملة تراءت للمنظمة وكلفت بوضعها لجنة يرأسها الدكتور عبد العزيز حسين . وهي مهمة ثقيلة اذ هي مدعوة الى تحمل مسؤولية عظيمة أمام الاجيال العربية المقبلة متمثلة في « تحديد المنظور المستقبلي العربي والرؤية الواضحة لنوع الانسان الذي نريد وشكل المجتمع الذي نبني وبناء نظرية ثقافية متكاملة على أساس ذلك لتكون الاطار المرجعي للسياسات الثقافية العربية في تنوعاتها القطرية وضمن تحديات الغد الثقافي ومتغيراته » .

وهذا وحده لا يكفي لان مقتضيات أخرى تدعو الى المرونة والى رفع التحديات والدخول في عصر التكنلوجيا والاعلامية واعتبار أن الثقافة أمر متحول متغير كتطور المجتمعات وتعاقب الاجيال في تبدلها وعدم تماثلها . وقد تضمنت هذه الدراسة الشمولية أربعة أقسام هي :

1) المبادىء النظرية والاسس الموجهة للخطة الثقافة المنشودة وفيها فلسفة الخطة وروحها الفكري ومبادئها العامة .

2) مجموعة التوصيات التي قدمها رجال الفكر والثقافة في مختلف المجالات خلال الندوات الثماني والعشرين التي دعت اليها اللجنة وهي توصيات « مرنة متنوعة تسمح باقامة البرامج الثقافية على أساسها » .

3) خلاصة الاستبيان الثقافي الذي أجرته اللجنة في مختلف البلاد العربية بمعونة عدد من الرسميين والاختصاصيين للتعرف على واقع الثقافة القائم .

4) مجموعة البحوث التي قدمها أهل الاختصاص والفكر الى اللجنة في مجالات الثقافة وفيها أفكارهم بخصوصها ومقترحاتهم للعمل .

هذا التقسيم الذى ذكره الدكتور عبد العزيز حسين هو الذى ظهرت بـه الخطة فيما يقارب المائتين والعشرين صفحة وضمت هذه الاقسام حصيلة ضخمة من الآراء والافكار والمعلومات يستفيد منها القارىء ما فى ذلك شـك وهى لا محالة منطلق لا بد منه لتوضيح ما يجـب أن تقـوم عليه السياسات الثقافية فى كل قطر وركيزة أساسية لكل البرامج التنفيذية التى ستوصى بها المنظمة فيما بعد .

ولهذا فان المنظمـة قامت بواجبها الاولي وهى مدعوة الى توخى المرحلية والتوصية بالاولويات ولكن يبقى موكولا الى الحكومات تنفيذها وهو ما دعـا الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول الى الدعوة الى عقد قمة عربية ثقافية لان الامر لا يتوقف على الدراسات والموافقة على التوصيات بل إن أمر الثقافة فى الوطن العربى موكول فى الواقع الى الارادة السياسية المتحكمة فى كل الجوانب المتعلقة بازدهار الثقافة وتواصلها بين الاقطار والراجعة الى ميادين عديدة اقتصادية ومالية وسياسية بحتة .

وإن مجرد الاهتمام بالثقافة من قبل الرؤساء والملوك العرب وعقد اجتماع بينهم هو حدث كبير ولو لم يؤد الى نتائج كبيرة اذ هـو سيفتـح أعيـن الرؤساء والملوك الى هذا العنصر الذى أصبح يشكل أهمية كبرى فى تطـور المجتمعات وتقدمها وسيعرفهم أن الحكم مهما كان لا يستقر له قرار ولا يقطف الناس ثماره الطيبة الا اذا بني على رؤية ثقافية لا تقول بالعصمة ولا باحتكار الحقيقة ولا بالزام الغير باحقيتها وإنما الرؤية الثقافية الحق هى التى يتفـق حولها الجميع تفاعلا وتكاملا مع ابعادها المتنوعة وخصوصياتها المتعددة .

يا حبذا لو يعمل الجميع فى سبيل تهيئة هذه القمـة الثقـافية متـوخين ترك كل تشاؤم ساعين الى ازالة الحدود الثقافية شيئا فشيئا اذ هى المنطلق لكل ازدهار حقيقى للثقافة فى الوطن العربى وأساس فرض وجودنا الثقافى فى العالم تعاونا وتكاملا ٠

البشير بن سلامة

تونس الحُبّ.. تونس الياسمين..

شعر: كمال قداوين

تَرَاءى الهَوَى في السُّفُوحِ عَلِيلاَ   يُمازِجُ شَمْسَ المَسَاءِ أُفُولاَ
وَيَرْكَبُ فِي العُمْرِ أَطْيَافَ وَهْمٍ   فَتُرْدِيهِ وَسْطَ العَرَاءِ قَتِيلاَ !
وَلَمَّا اسْتَبَدَّتْ بِهِ نَزَوَاتُ   المَوَاجِعِ ، تُخْمِدُ فِيهِ الفَتِيلاَ
تَنَامَى النِّدَاءُ بِقَلْبِي صَهِيلاً   يَدُكُّ المَوَاقِعَ مِيلا فَمِيلاَ
تَوَزَّعْتُ فِي مَهْمَهٍ لِلْعَذَابِ   أُلَمْلِمُ شَوْقا يَرُومُ الرَّحِيلاَ
فَزَغْرَدَتِ الأُمْنِيَاتُ بِكَفِّيَ   لَمَّا حَضَنْتُ الغَرَامَ الكَلِيلاَ
وَرُحْتُ أَبُثُّهُ نُسْغَ الحَيَاةِ   وَأَنْفُخُ فِيهِ الشِّفَاءَ الجَمِيلاَ
فَلَمَّا اسْتَوَى وَهَجا سَاطِعا فِي   وِطَابِي وَرَامَ بِقَلْبِي النُّزُولاَ
سَأَلْتُ لِمَنْ يَهَبُ العِشْقَ عُمْرِي   وَمَنْ أَصْطَفِيهِ لِوِدِّي خَلِيلاَ ؟
فَقِيلَ : الهَوَى لِبِلاَدِي يَكُونُ   لغيرِ بِلاَدِي الهَوَى لن يؤولاَ !

* * *

أُحِبُّكِ تونسُ ، إِنِّي الحَبِيبُ   الَّذِي يَشْتَهِيكِ وَيَأْبَى البَدِيلاَ
دَعِينِي أُبَدِّلُ جِلْدَةَ حُبِّي   لِكَيَ أَتَوَحَّدَ فِيكِ قَلِيلاَ
أَنَامُ بِأَهْدَابِ عَيْنَيْكِ كَيْ   أَستريحَ ، أُعانِقَ فِيءا ظَلِيلاَ
وَأَغْرِفَ مِنْ بِرْكَةِ الضَّوْءِ عطرا   يُؤَجِّجُهُ الوَجْدُ شَوْقا جَزِيلاَ
أَنَا الحُبُّ فِي أَغْنِيَاتِي عرُوس   مِنَ الشِّعْرِ تَخْتَالُ حُلْما جَمِيلاَ
وَيَصَّاعَدُ البَوْحُ من فيض جرْحِي   فَيَهْمِي الشَّذَا دَافِقَا سَلْسَبِيلا
وَيَنْسَابُ حِينَا كَنَهْرِ الغَرَامِ   اشْتِهَاء ، وَيَنْشِجُ حِينا عَوِيلاَ !

* * *

أُحبُّكِ تُونسُ إنِّي ظَمِئْتُ ... إليْكِ ، وشَطَّ اللِّقَاءُ طَويلاَ
أنَا السِّنْدبَادُ الذي اخْتَزَنَتْهُ ... الظنونُ ومَا أدْرَكَ المُسْتَحيلاَ
يُهَرْوِلُ عَبْرَ المَدَى نَاقَةً لاَ ... تُناخُ ، تُسابِقُ ، تَطوي الفُلُولاَ
أنَا شَاعِرٌ أرْهَقَتْهُ الحُرُوفُ ... فأضحى لدى الحرفِ عبدا قتيلاَ
تَنَامَى صُرَاخُ الفَجِيعَةِ عِنْدي ... دَمارا .. وشَاءَ بقلبِي المَقِيلاَ
يَشِي بانعِتَاقِ المَعَانِي مِدَادِي ... فيَرْكُضُ بينَ الخَلاَيَا صَهِيلاَ

* * *

بِلاَدِي وإنْ ضَيَّعَتْنِي المَرَافِئُ ... أوْ رَكِبَتْنِي الأمَانِي طَوِيلا
فَإنِّي بِكَفِّكِ يَرْتَاحُ جُرْحِي ... بأفْيَائِكِ الخُضْرِ يُرْوِي الغليلا
يَهِيمُ بِمُصْطَافِ غَابَاتِهَا ... ويَعْشَقُ كُثْبَانَهَا والسُّهُولاَ
رَأيتُ البهَا في الرَّوَابِي تَجَلَّى ... شموسا ، تدلَّى كرُوما ، نخيلاَ ...
تَسَامَى جَمَالا ، تهادَى جَلاَلاَ ... شُعاعا يُسامِرُ بَدْرا أسِيلا
تَنَامَى رَيَاحِينَ ، هَمْسا ، أرِيجا ... تَرَامَى زَنَابِقَ ، خصْبا ، سُيُولا

* * *

أزُفُّ إليْكِ بلاَدِي قَرِيضا ... أضَاءَتْ لهُ مِنْ سِرَاجِي الفتيلاَ
وغيري يُطوِّحُهُ التِّيهُ يَمْضِي ... يُجدِّفُ خَلْفَ السَّرَابِ طَوِيلا
يُطَاوِعُ وهما جَرَى لاَ يُحَدُّ ... وأبْقَى أُطَاوِعُ فَنًّا أصِيلاَ
يُحَاوِلُ يَلْغُو بلَفْظٍ سَخِيفٍ ... كلاَمَ على الشِّعْرِ يَبْقَى دَخِيلاَ
يُشَوِّهُ كُلَّ الحُرُوفِ الجَمِيلَةِ ... يَأْتِي مَرَافِيءَ ضَلَّتْ سَبِيلاَ
طَوَاحِينَ رَمْلٍ تَذُرُّ نَشَازاً ... منَ اللَّفْظِ والحشْوِ ، رَسما عَلِيلاَ

* * *

أُحِبُّكِ تُونسُ أنْتِ مُنَايَ ... التي أشتهي أجْتَبِيهَا خَلِيلاَ
عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْتَهِيكِ افتراءً ... ويَزْعُمُ وِدَّكِ أمْرا جَلِيلاَ
يُغَازِلُ فِيكِ المُنَى بُكْرَةً ... ويَذْبَحُ فِيكِ الإبَاءَ أصِيلاَ
يَقُولُونَ بَعْضُ القَضَاءِ ابْتِلاءٌ ... وحُبُّكِ كانَ قَضَاءً جَمِيلاَ

كمال قداوين

بطاقة تحية الى مجلة "الفكر" في عيدها الثلاثين

بقلم : د. محمد كيلاني
(سوريا)

سنوات طويلة وكل شهر تفرد الحمامة التونسية جناحيها الابيضين ... تشق الابعاد والمسافات لتحط على مكتبي ... حاملة رسالتها المغربية الى مشرقية في العالم العربي وبين طياتها الندى والحب والثمر . ندى الآراء والخواطر ... حب المعرفة وبذور الفكر الحر الرصين ... ثمار الادب من شعر وقصة ... وقطاف الاقلام من مقالات ومراسلات وتعليقات .

يا لهذه الزاجلة الامينة .. لم تكن لتتأخر .. وفي موعدها الدقيق تصل.. ذلك لان القائمين على رعايتها ومن يطلقونها كل شهر كانوا حريصين على هذه الدقة .. ملتزمين بأمانة الرسالة التي تحملها بين جوانحها .

والآن .. ألا تحمل لي في هذه المناسبة الخاصة جدا .. العزيزة جدا .. بطاقة تحية ؟

انها رفة حب . وزهرة عطر .

والحمامة التي تحولت الى نجمة .. وغرفة الماء التي غدت نهرا .. تستحقان منا أكثر بكثير بعد ان استضأنا بالنور .. ونهلنا من المورد العذب .

هذه ذاكرتي .. وهذه اعداد من المجلة .

من ذاكرتي اقطف اسماء الذين تعرفت اليهم دون ان اعرفهم .. ومن اعداد المجلة أرصد المواقف والمواقع والمنابر الحرة التي أتاحتها لمن كتبوا فيها .

الذين عرفتهم قبل أو دون أن أعرفهم هم كبار المثقفين والمفكرين ليس في تونس فقط بل في العالم العربي . وهم ألمع الكتاب والشعراء .. وأجود النقاد والباحثين والدارسين . كنت أتتبع خيوط النور تشع من آرائهم . أولئك

المخلصون من الوطنيين الصادقين الذين قارعوا **الاستعمار الاجنبى ٠٠ وحملوا** لواء التحرر الوطنى .. ورفعوا على كواهلهم بناء تونس الحديثة ضمن الاطار **العربى القومى ٠ الذين أبهظتهم مهام جسيمة كمهام التعريب والتصدى لتغلغل** الثقافة الاجنبية باسم الحضارة والتمدن وتحملوا مسؤولية ألف مشكلة أخرى **ليس أولها اصدار الصحف والمجلات ــ وعلى رأسها «الفكر» ــ بالعربية ٠** وليس آخرها قضية فلسطين محور صراع الوجود بين العرب والصهيونية .

أقول إننى عندما التقيت للمرة الاولى بالمفكر الكبير والاديب البارع الاستاذ **محمد مزالى عام 1976 (وكان رئيسا لاتحاد الكتاب التونسيين ووزيرا للتربية**) وبالاستاذ المثقف واللامع البشير بن سلامه (وكان رئيس تحرير مجلة « الفكر ») شعرت اننى أعرفهم حقا .. أعرفهم من خلال مقالاتهم **وافتتاحياتهم ٠٠ ومن خلال المقولة العامة الاساسية التى تنظم مجلة «الفكر» ٠** ففى اعتقادى **أن** رئاسة تحرير لمجلة أو اشرافا عليها لا بد أن يقتضى **بالضرورة أساسا** عاما ومنظورا فكريا من خلاله تمر المواد **مهما كان تنوعها لتدعم هذا الاساس** ولتحقق **هذا المنظور ٠ هذا** لا يعنى بالطبع **تدخلا مباشرا فيما يقدم على صفحات** المجلة ٠٠ ولا تقييدا لحرية الكاتب أو **الاديب ٠ المهم فى نهاية الامر** ان يتحقق الهدف البعيد للمجلة أو الغايات المثلى والمرجوة التى **خلقت من أجلها** .

ولقد كانت تجربة « الفكر » تجربة فريدة من نوعها فى **عالم الصحافة العربية نظرا للظروف الصعبة التى أسست بها ٠٠ ونظرا للشروط التى** طمح مؤسسها فى أن تكون لها منذ صدور العدد الاول . أما الظروف ... التاريخية والموضوعية فيتحدث عنها الاستاذ محمد مزالى فى أكثر من مناسبة.. **وعلى صفحات المجلة بالذات بأنها كانت فوق الصعبة واكثر من الشائكة فالفترة** هى تباشير الاستقلال ، والاستعمار ولو انسحب لابد سيترك ظلاله السوداء وآثاره الثقافية واللغوية . وبالنسبة للشروط فماذا نقول فى مشروع يقوم فقط على همم قلة من الشبان الطموحين المجازفين وهم لا يملكون لهذه المعركة سوى ايمانهم الراسخ .. واعتقادهم الامين بوجوب خدمة بلادهم ولغتهم ؟

وكان **ان** ولدت المجلة عام 55 وقد حددت **لها مواقف وتركت لها حرية** التنقل بين **المواقع** .

① **المواقف :**

أما المواقف وهى ثابتة وأكيدة، مبدئية وواضحة فكانت تتلخص فيما يلى :

1 ـ **الموقف من خدمة القضية الوطنية كجزء من القضية العربية ككل ، أو** ما عبر عنه (بالتونسة) وهو مقصد أساسي هام ونبيل منه تمد **الجسور الى** كل الاقطار العربية لتتجمع في الساحة الاصلية ساحة العروبة .

2 ـ الموقف من العروبة وحدة ومصيرا وكيانا ومقومات بحيث تبدو كل **الطروحات مهما تعددت ٠٠ وكل الاصوات مهما تنوعت قادرة على أن تصب** في الهدف الاساسي وهو وحدة العرب .

3 ـ **الموقف من القضايا الفكرية والثقافية العالمية بحيث تفتح النوافذ على** الآفاق .. فلا تبقى الثقافة العربية منغلقة على نفسها .. مجترة لذاتها بل متفاعلة أخذا وعطاء مع الحضارات والثقافات الاخرى في الوقت الذي تحتفظ فيه بسماتها الاصيلة ومميزاتها الخاصة بها .

4 ـ **الموقف** من الانسان ككائن أسمى على الارض .. وما يستتبع ذلك من نظرات الى المفاهيم والمقولات الاساسية من روحية وانسانية وما يستدعي **التواصل بين الشعوب لا على أساس عدائها بعضها لبعض بل على أساس حوارها** الحضاري وتفاهمها الانساني .

5 ـ **الموقف** من الدين .. وهو الاسلام غير منفصل عن العروبة مع نظرة شمولية وهي ان الاسلام سمة حضارية وطابع انساني وليس تعصبا وتزمتا مع ترك الباب مفتوحا للاديان والمعتقدات الاخرى ان تتعايش معه وان تتفاهم في ظله وان تتساوق في ايقاع انساني سام ونبيل .

6 ـ الموقف من اللغة العربية تراثا وأصالة وتجديدا مستمرا يتوافق مع معطيات العصر ومع ما تكتنزه هذه اللغة من ثراء يدفعها الى التجدد والحيوية باستمرار .

عن الناحية الاولى ـ أي عن تأسيس المجلة ـ يقول الاستاذ محمد مزالي :

اسألني في الكثير من الاحيان عن السبب الذي جعل في تونس كل مجلة لا تتجاوز السنتين أو الثلاث سنوات من حياتها وكنت أتألم أن كثيرا **من التونسيين ـ وحتى المثقفين كانوا مقتنعين بأنه ليس بوسع تونس أن تستصدر مجلات جدية دائمة ٠ كانوا ينتظرون النور من الغرب أو من الشرق** وهكذا ظلوا قانعين بكونهم (مستهلكين) لا (منتجين) فأردت بحمية الاستاذ الشاب الذي كنته أن أتحدى الوضع وقلت في نفسي : إنه بوسعي اذا **كرست كل وسائلي وحركت همم بعض الزملاء الشبان أن اكسب الرهان**

المتمثل فى اقامة الدليل للتونسيين والاجانب على ان مجلة ثقافية غير تجارية تحترم القارىء ولا تتملق اهواءه ولا تكون أسيرة الظرف ولا الغريزة بامكانها ليس فقط ان تبقى بل ان تتقدم أيضا (*) .

وهكذا ولدت مجلة « الفكر » .

والاستاذ مزالى (فى العدد 4 جانفى 1977) يتمنى أن يعيد ذكرياته مع « الفكر » (بنفس الافراح ونفس الاوجاع ونفس التحمسات ونفس البحث عن الحق والخير ونفس دواعى النتائج) .

اذن ... فـ « الفكر » تجربة صحفية ثقافية مع الصدق والحقيقة .

② المواقع :

أ ـ موقعها من الحركة الوطنية التونسية والاستقلال فقد تواكبت مع تلك المرحلة التحريرية التى تسلم فيها التونسيون مصير بلادهم واخذوا يعملون **فى كل المجالات** وعلى كل الاصعدة آخذين بعين الاعتبار **الصلة الوثيقة بين** الثقافة والادب وبين التحرر والاستقلال مؤكدين على القيم الاصيلة فى الحضارة العربية الاسلامية .

ب ـ موقعها القومى بحيث رفضت منذ البدايات شعارات العروبة واعتبرت تونس جزءا من الوطن العربى وقضاياه وحافظت على الروح القومية شعارا وممارسة ففتحت أبوابها لكل الادباء والشعراء والمثقفين العرب ونشرت نتاجاتهم بل كانت جسر اتصال ووسيلة لشهرتهم أحيانا .

ج ـ موقعها من التراث فقد كان اهتمامها به باديا ملحوظا ولم تترك مجالا فيه عرض لبعض كنوز التراث أو دراسة له أو تعريفا به الا وسارعت الى نشره . هذا اضافة الى النظرة الى التراث باعتباره الاساس لكل تقدم وازدهار دون نظرة اقليمية ضيقة او اعتبارات محلية بل جعله ككل ملكا للامة العربية بأسرها .

د ـ موقعها من الثقافة العالمية المعاصرة اعلاميا اذ أصبحت المرآة التى تعكس هذه الثقافة من جهة كما انها تعطى الصورة الافضل عن الثقافة العربية بالنسبة للاجانب وللغرب خاصة فاعتبرت بذلك وجها كما اعتبرت مرجعا ومصدرا فهيئت من خلالها وحولها اطروحات جامعية ورسائل دكتوراه .

(*) عدد أكتوبر ـ 1976 : من لقاء فى الذكرى 21 للمجلة .

هـ ـ أما المواقف التي يتوجها الوضوح وتكشف عنها رؤية ثابتة للمجلة وخطة رصينة فهي تبدو :

1 ـ في أبواب المجلة من : افتتاحيات ، دراسات ، مترجمات ، ابداع (شعر وقصة وخواطر وكلمات) مسرحيات ، قراءات في الكتب ، بريد القراء ، الردود ، أصداء الفكر ، الكتب المهداة .

2 ـ في الملفات الخاصة : على سبيل المثال :

ملف الادب الموريتاني : نوفمبر : 1977
الفارابي : فيفري : 1976
الذكرى العشرون لاعلان الاستقلال : 1976

3 ـ في نشر انتاج الادباء من المشرق والمغرب على حد سواء حتى أن بعض الاسماء عرفت في أوطانها عن طريق مجلة « الفكر » . ولم استغرب أنا كمشرقية أو سورية ان اقرأ لشعراء أو كتاب من حلب أو حماة أو دمشق لاول مرة في مجلة «الفكر» ولعل عراقيين مثل أيضا ... وكذلك في الجزائر أو الاردن أو المغرب .

4 ـ في الاهتمام بالنقد والنقاد بشقيه القديم والحديث وتغطية الملتقيات النقدية (كابن رشيق مثلا) بابراز النظريات النقدية والابحاث التي تقدم ..

يقول الاستاذ البشير بن سلامه في عدد افريل 1980 :

(اهتمت « الفكر » منذ تأسيسها عام 1955 بالنقد والنقاد واصدرت اعدادا وملفات خاصة بهذا الموضوع ولم تفوت أية فرصة للحديث عنه واثارته بكل حدة في بعض الاحيان ان هي لم تشر له في كل عدد ، وأكثر من هذا فانه ليس من التجوز إن قلنا : إن كل عدد يحمل في طياته بأبوابه القارة وغير القارة وبمقالاته وبحوثه ودراساته جوانب متعددة من النقد الادبي) .

5 ـ في تقديم التراث بأسلوب جديد يعتمد على دراسات علمية جادة وعلى أسماء باحثين جعلوا همهم هذا الكتاب أو ذاك من التراث أو موضوعا عرفوا به من خلال اختصاصاتهم أو كتبهم أو رسائلهم في الدكتوراه وفي رأي لأديب سوري من خلال مقابلة في عدد ديسمبر 1977 يقول :

(الصحافة التونسية جادة تعالج أعمق المشكلات الثقافية الراهنة كما تهتم بالبؤر الضوئية في التراث العربي والاسلامي من خلال أساليب محدثة وفن متطور) .

وهو يعنى فيما يعنى من هذه الصحافة مجلة « الفكر » بالطبع لا سيما وان اللقاء منشور فيها والاديب نفسه قدم انتاجه من خلالها .

6 ـ فى الانفتاح على الآداب الاجنبية من خلال الدراسات لكتاب أجـانب وترجمتها أو عرضها ومناقشتها أو لكتب أجنبية أو الردود على طروحـات مفكرين ومثقفين عالميين (كما فى عرض الاستاذ مزالى لآراء روجيه غارودى) .

7 ـ فى القاء الاضواء على النتاجات الحديثة وأدب الشباب وتشجيعها وابراز المواهب فيها مما يشكل عامل تشجيع لا سيما وان أصحابها يمتلؤون بالفخر وهم يجدون اسماءهم فى مجلة كـ « الفكـر » رصينة ومعروفة ولها قراؤها على امتداد الساحة العربية .

وفى أعداد كثيرة من المجلة طرحت قضايا أدب الشباب ...

ونتذكر مقالات الاستاذ محمد مزالى والاستاذ البشير بن سـلامه كما فى افتتاحية الاستاذ بن سلامة عن أدب الطليعة جـوان 1978 وكما فى سلسلـة المترجمات من شعر (رامبو) التى تحمل مضمونين بآن معا : الاهتمام بالمترجم أولا ... واعطاء النموذج للقراء الشباب فى شعر كان فى زمانه طليعيا ... بل ثورة على القديم .

8 ـ فى تقديم الدراسات المبتكرة والجديدة على اعداد متتالية ممـا يتيـح للقارىء أن يستكمل بحثا ابتداه ... كما يتيح للمؤلف أن يلم بموضوعه من كل جوانبه .

وهذه الدراسات تتناول أحيانا قـواعـد اللغـة أو ابحـاث العـروض او موضوعات تاريخية تراثية .

وهناك نقاط ضوء صغيرة ... لكنها ذات مدلولات كبيرة تترك حولها هالات من النور :

1 ـ بعض المصطلحات والتعابير والتسميات التى أطلقتها مجلة « الفكر » وأصبحت شائعة ومتداولة . مثلا : تسمية جـديـدة للشعـر الحـديث فى (القصائد المتحررة من التفعيلة) . وهذه التسمية تحمل فى مضمونها رأيا نقديا كاملا فى الشعر الحديث (عدد فيفرى 1979) .

2 ـ الاهتمام بشكل بعض النصوص (الشعرية أو التراثية) مما يجعلها مهيأة بشكل كامل للطالب أو الدارس ومعبرة عن الدقة والامانة الادبيتين .

3 ــ **ابراز الاقلام النسائية والتأكيد ــ عمليا ــ على حضور المرأة فى الساحة** الادبية خصوصا التونسية وتشجيع الاقلام التى كانت واعدة فى السبعينات ثم أصبحت ناجحة ومعروفة فى منتصف الثمانينات .

وأخيرا لا بد من **ملاحظة ... ان اوردتها فى آخر القائمة فليس معناه اننى أقلل من شأنها ...** على العكس . أنا أجدها ذات امتياز خاص وهى ان مجلة « الفكـر » .. وبكل فخر .. من أندر المجلات التى يصعب ان تجـد فيهـا **الاخطاء اللغوية ٠٠ فهى كالثوب المحكم ٠٠ لا رتق فيه ولا فتق ٠٠ نسيـج** متماسك .. سداه أصحاب المادة الثقافية ولحمته الاشراف الواعى الدقيق من المسؤولين عن المجلة . وهل يغيب عن الذهن أن فى هذا احترامـا وأى احترام للغة العربية . وممارسة هى ابرع ممارسة لجعل السيادة لهذه اللغـة فى الصحافة منزهة عن الخطأ والتشويه .

واستتباعا لذلك لا نغفل القول عن الفهارس والهوامش **ولـوائح الاسمـاء والموضوعات بين** أعداد وأخرى مما يسهل على الباحث أو **الدارس الرجـوع** الى الموضوعات واسماء أصحابها فتغدو المجلة مصدرا موفقـا ... وتاريخـا متداولا لمرتكزات الحركة الادبية والثقافية واسماء أصحابها أو اعلامها .

إنها ملاحظات ... أستبعد فيها روح المجاملات . أراها مقصرة فى حق هذه **النخلة السامقة** من بستان الفكر ٠٠٠ لكننى ــ كما قلت فى **العنوان ــ اعتبرتها** بطاقة تحية لا اكثر لمجلة عزيزة على قلوبنا جميعا فى عيدها الثلاثين شمعـة بيضاء شاحبة بين الاضواء الباهرة التى تسلط على المجلة فى هذه المناسبة **الرقيقة ٠٠٠ الا أن الشمعة ٠٠ وان أضافت خيطا واحدا الى حزمة النور تخفق** وهى سعيدة ... وان هى ذابت تكون أسعد .

د٥ : قمـر كيـلانى
دمشق : 1985/9/9

تونس الحبّ .. تونس الياسمين ..

شعر: عبدالرؤوف بوفتح

دعينِي على رُكبتيك قليلا ..   أُرَتبُ صمتي..وَلاتسأليني الرّحيلاَ !
نَمَتْ غرْبتِي ، وَالمسافَةُ ريح ..   فلا طير في أُفُقِي لا صهيلا
ولا غَيْمَةَ تَشْتَهيهَا خُطَاي   ولا قامة في المدى أَوْ دليلا
نَمَتْ غُرْبتِي والذين أُحِبَّ   أَشَاحُوا الوجوهَ وَرَاموا السبيلا
فلا عُشْبَ يَفْجَؤُنِي بالنَّدَى ..   ولا ظلّ يتبعني .. لا خليلا
مَضَى العمرُ مستترا بالأَمَاني   وكان الصبا متعبا .. وجميلا
مضى الشعر – في خشبِ العمر – يحبو   أَكَانَ لهيبا ؟ أَكُنتُ الفتيلا ؟
أكانَ انْتِحَارا بِلاَ وَجَع ..؟   فكنتُ صَفيّهُ .. كُنتُ القتِيلا
هو الشعر هذا الحريقُ / الرّحيقُ   شذَاهُ : رمادي . يظل البديلا
أنا لغة في كتابي ، ومن ألفي..   إلى الباء أبقى اشتعالا أَصِيلا
أَنَا موجة ، ودمي بَحْرُهَا   أنا ذَاهب .. خلَفها أَرْخبيلا
فكيف أموت ؟ وَأَصْلي دَمِي   وفرعِي جهات .. ؟ وَلست ضليلا ؟
وكَيْفَ أُحِبَّ ، وفي كُلّ يوم   أَرَى جسدا كالضباب دَخِيلا ؟

* * *

وفي كلّ حضنٍ أرى جثّتِي   فأين أحُطّ وَأَغْفُو قليلا ؟
أتونس أنت الملاذ فَهُبِّي   بقَطْرَةِ بَوْحٍ تَبُلّ الغَلِيلاَ
وهبِّي .. ازرعِينِي جَدَاوِلَ حُبّ   تفيض على القلبِ طُهرا جليلا
أتونس انّي فتاك فَهَلاّ ..   رَدَدْتِ إِلَيّ ذُهولي السليلا ؟!
هنا .. قد بنى الياسمين خيامي   وكان اصطفاني عشيقا خليلا
وغطّي عظامي بدفئكِ .. انّي ..   رَسَمْتُكِ وشما بقلبي .. جميلا
أنا عاشق والنّهاية تُلْقِي   بنهرك في جسدى .. سلسبيلا .

مزالي وعبقرية الشخصية العربية

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي
(مصر)

ان الفلاسفة والمؤرخين كونوا عدة وجهات نظر مختلفة فيما يتعلق بالصلات بين الفكر والحياة ، وبدور الافكار فى وضع السياسات (1) . وفى الأزمنة السابقة كثيرا ما كانوا يغالون فى دور الافراد فى توجيه مصير الامم ، وأدى ذلك الى وجهة النظر القائلة بأن التاريخ أساسا نتيجة للاستهداف والتخطيط الفرديين ، اما فى العهود الحديثة فان هناك ادراكا متزايدا لتأثير القوى الاجتماعية الجماعية فى التاريخ ، وينطوى ذلك على الاعراف بأثر الانفعالات والمصالح . وقد اثبت علماء الاجتماع الحديثون ان برامج الاحزاب ، بل ونظريات كبار المفكرين ، تتحدد الى حد كبير ببيئتها الاجتماعية ، وبالاوضاع التاريخية الخاصة بها . بيد ان القوى العقلانية واللاعقلانية متشابكة كقاعدة عامة بحيث لا يكاد يمكن فصلها . والعالم الحقيقى يحاول وضع الحقيقة فوق

---

(1) ارنست ترولتش Der Historismus Und reine Prolemes
1932،وفردريك ما يكنه مجلدان Die Entstehung des Historismus
1936 ـ و ج ـ جولد فردريك Die Historische Ideenle hre in Deutschland
1902 ، كما ان الاهمية الكبرى للافكار أكدها لورد اكتون فى كثير من تأملاته التى جمعها أولريخ نواك وفسرها فى سنة 1935 ، وقد أجيب عن السؤال الخاص بدور فلاسفة الاستشارة فى قيام الثورة الفرنسية بصفة خاصة بعدة طرق مختلفة ، انظر كنجلى مارتن « الفكر الفرنسى التحررى فى القرن الثامن عشر » 1929 ، ص 66 ـ فى : فردريك هرتز : القومية فى التاريخ والسياسة ، ترجمة : عبد الكريم أحمد ، ص 322 .

أعز مثله العليا ومصالحه الجوهرية ، ولكن حتى هو لا ينجح تماما فى القضاء على التحيز دائما ، بيد أن الداعية يستخدم الفكر والمعرفة كمجرد أدوات للدفاع عن أهدافه المتصورة • ونوع تفكيره يسمى عادة **ايديلوجية اليوم** لتمييزه عن التفكير العلمى غير المتحيز . وفى حالات كثيرة لا يكون الفرق الا فى الدرجة ويصعب تحديد الحد الفاصل .

وكانت الطبقات المثقفة هى دائما القوة الدافعة فى السعى من أجل الجنسية ومنها زعماء هذا السعى ، ومن الجلى ان هذه الطبقات معرضة بصفة خاصة لتأثير المذاهب التى يكونها المفكرون والحالمون ويدافع عنها كتاب وخطباء وفنانون كبار . وكثيرا ما اجتذبت حماسة المثقفين التى يزيدها الفلاسفة اشتعالا فكر الجماهير وحملته معها ، برغم أن الجماهير لا تكاد تعرف شيئا عن الخلفية الفلسفية لمذهبهم ، بيد أن الافكار الاصلية للمفكرين السياسيين فيما يتصل بأهداف الجنسية ومغزاها كانت تتغير عادة فى اثناء تحقيقها الى حد ان النتيجة كانت تجيء مختلفة ، بل ومناقضة لما توقعوه . ومن ثم فانه من الضرورى عند محاولة تحديد مدى تأثير المذاهب على عقلية الشعوب أن لا يقتصر البحث على نظريات الفلاسفة ، بل يشمل ايضا تعديلاتها فى ايديلوجيات الطبقات والشعوب .

وقد أكد الكثيرون أن كل طابع قومى يعبر عن نفسه فى خطة فلسفية معينة ، ولكن فى الحقيقة نجد ان النمو الفلسفى لكل أمة ينطوى على أنواع كثيرة مختلفة من الفكر . ومع ذلك فانه صحيح ان نوعا معينا من الفكر كانت له الغلبة عند كل أمة ، وان هذا الفكر تأثر بقوة عوامل سياسية واجتماعية معينة ، وان كل أمة اليوم تعتبر نمطا معينا سمة مميزة لجنسيتها ، فيما يتعلق بكل من المدنية والسياسية ، فالانجليز يعتبرون التجريبية والنفور من النظريات المجردة من سماتهم القومية المميزة ، ويربطونها بتفضيلهم للحلول الوسطى والتحررية والديمقراطية . ويفخر الفرنسيون بتقليدهم العقلانى العظيم والدور المسيطر الذى يحتله العقل فى سياستهم • ويفخر الالمان بفلاسفتهم الميتافيزيقيين العظماء وبالعناصر المثالية والتصوفية والرومانسية فى فكرهم ، ويؤكدون أيضا الارتباط الوثيق بين فلسفتهم القومية وسياستهم .

بيد ان الارتباط بين الفلسفة والسياسة لم يقل به الكتاب الذين تحدوهم روح الفخر القومى وحدهم ، بل كثيرا ما كان موضع التأكيد يقصد القاء

مسؤولية السمات الشريرة فى التطور القومى لامة ما على فلسفتها . وفى الحرب العالمية الاولى بصفة خاصة اتهم كثير من العلماء الالمان الانجليز والفرنسيين بأنهم وضعوا نظما من الفكر تدعم نمو الرأى العام والمذاهب السياسية التى تؤدى الى الحرب . ومن الناحية الاخرى أكد بعض العلماء الفرنسيين والانجليز المبرزين ان الفكر الفلسفى الالمانى بالذات هو الذى صاغ العقلية السياسية التى انبثقت منها الحرب الكبرى . ومن ثم فان كلا من الطرفين حاول اثبات ان الحرب لم تكن مجرد حادث نجم عن اخطاء رجال الدولة والديبلوماسيين ، بل انها متأصلة الجذور فى العداء القائم بين المثل العليا والمعتقدات التى تدين بها الشعوب والتى يتعلق بها الامر (2) .

وقد تأكدت هذه الحجة فى المانيا بصفة خاصة وحظيت فكرة ان الحرب هى فى نهاية المطاف صدام بين عقليتين لا تتفقان ، كثير ما وصفتا بانهما المثالية الالمانية والمادية الغربية ، بانتشار واسع بين المثقفين (3) .

(2) من الناحية الالمانية انظر :

ويلهلهم واندت 1915 «Die Nationen und ihre Philosophies»

ماكس شيلير 1915 «Der Genlurdes riges und der deutsche Kroeg»

ماكس شيلير 1923 «Nation une Weltanschawung»

فرنر سومبارت 1915 «Handier und Helden»

أما من الناحية الفرنسية فانظر :

ليون ديجوى 1917 «Rousseau, Kent et Hegel»

ليون ديجوى 1927 «Revue du droit puplic et de la science polique»

لويس برتراند 1915 «Revue des deux Mondes»

فكتور باسك 1927 «Les doctrines politiques des philosophes classiques de l'Allemagne.

راجع : دردريك هرتز : السابق ، ص 324 .

(3) من أكثر دعاة هذه النظرية تعصبا ستون ستيوارت شميرلين فى كتابات مختلفة نشرها ابان الحرب وفى مراسلاته مع القيصر وليم (نشرت 1928) فردريك هرتز : السابق ، ص 325 .

وكل هذا الجدل بين ممثلى الامم المتعادية كان مصدر وحيه طبعا هو الانفعالات السياسية والتحيزات ٠ ومع ذلك فلا يمكن انكار ان هناك صلة ما بين الفكر الفلسفى والايديلوجيات السياسية . وصحيح أن بعض الفلسفات قامت بدور أكبر من غيرها فى صعود النزعة القومية العدوانية . ولكن من الناحية الاخرى من الخطأ ان نفترض ان نوعا من الفكر الفلسفى هو الذى شجع هذا التطور . فمن الحقائق الغريبة أن عددا كبيرا من التيارات الفكرية والمشاعر والمصالح اشتركت كل منها فى نمو النزعة القومية من ناحية وقاومت آثارها من ناحية أخرى . فالمثالية والمادية والحتمية واللاحتمية والعقلانية واللاعقلية والتفاؤل والتشاؤم والفردية والجماعية والدين واللادين ٠٠ كلها شجعت الزيادة فى العدوانية القومية وعبادة الذات من ناحية وعارضتها من ناحية . اذ ان مدرسة فكرية تنطوى على اتجاهات مختلفة فى النمو ، وكثيرا ما أيقظ بعض المفكرين الكبار أفكارا فسرت فيما بعد بواسطة اتباعهم بمعنى مختلف تماما عما قصدوه .

وليس الغرض من الملاحظات التالية هو تتبع الارتباط بين بعض الفلسفات بذاتها وجميع جوانب الطابع القومى ٠ فهذه المهمة تتطلب كتابا منفصلا لكل مفكر بمفرده ٠ ان هدفنا هو مجرد عرض أفكار محمد مزالى عن بعض المشاكل الرئيسية فى الطابع القومى العربى بالاضافة الى ان الطابع القومى تأثر بالفكر فى صورة الدين والشعر والفن ، وكان تأثير مثل هذه العوامل عادة أقوى بكثير جدا من تأثير الفلسفة نفسها . ولذلك يذهب مزالى الى ان الثقافة روح الشعب ، منها منطلقه واكتمال وجوده ، هى كيانه المنحوت ومصيره المحتوم ، هى أمسه وغده والآن الذى يعيشه ، هى حياته فى عمق فلسفتها وتعدد أسرارها واصل ديمومتها ... هى آفاقه وتوقه وسر كينونته ، هى أرضيته اللا اخلاقية ونظرته الوجودية وفلسفته الحياتية ، هو بدونها جسم بلا روح ، كائن ممسوخ .. ضياع وهباء ...

ولذلك اعتبر مزالى ان تصنيف الثقافات من خطل الرأى ، بل هو ضرب من الغباء ونادى بأن ليس لثقافة فضل على ثقافة الا بما تساهم به فى اثراء التراث الانسانى .

ويرى مزالى ان الحديث عن الذاتية الثقافية لا يخلو من المخاطر والمزالق : « ولعل أشد هذه المخاطر بلاء هو ان نجنح الى تمزيق هذه الذاتية اشلاء بدعوى ابرازها وذلك بالاغراق فى بعض الاقليميات الضيقة ... وتشجيع

بعض اللهجات الميتة ... وان الاستعمار والامبريالية الجديدة ليسا بريئين كل البراءة من هذه المحاولات والمساعى التى يقصد بها خنق الثقافات الاصيلـه والهيمنة الايديلوجية الوقحة • ان الذاتية كل •• هى نزعة الى الشمول واكتمال الخلق • وانه لا استقلال ولا كرامة من دون حرمة ثقافية قومية » •

وفى هذا الصدد اقترح مزالى ان تبادر الينسكو الى اغتنام فرصة مـرور 1400 سنة على هجرة الرسول الاعظم ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ للاحتفاء بهذا الحدث التاريخى الهام الذى يعتبر منعرجا فى حيـاة البشرية ومولدا لاحدى الحضارات الكبرى والثقافات الثرية التى تفخر بها الانسانية والتى يمكن لمنظمة الينسكو ان تجلوها نقية وتبلغ العالم ثرواتها الفكـرية والفلسفية والفنية مباشرة لا فقط عن طريق المستشرقين والمتخصصين فى الشؤون الاسلامية من غير المسلمين .

ان الثقافة عند مزالى هى التى تنجب القيم الجديدة وتضبط الاسس والامثلة لما ينبغى ان تكون عليه المجتمعات والحضارات فى مختلف العصور ..

كما يرى مزالى ان المسؤولين فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب ، اصبحوا مقتنعين بوجوب ارساء علاقات اقتصادية جـديـدة بين الشعـوب ، قوامها الانصاف والعدل ، وأغلب الظن ان هذا القول لا يزال فى طور الامال بل الامانى ، ويدعو مزالى الذين يمسكون بأيديهم اليوم مفاتيـح الاقتصـاد والتفوق التكنلوجى الى الاقتناع بأن التضامن البشرى والسلم التى لا تبنى على الجور والحرمان ، وحتى مصلحتهم الشخصية ... وكل ذلك يفرض عليهم العمل من جل هذا النظام الاقتصادى الجديد ... ان صح ذلك القول ـ تفاؤلا ـ فانه لا بد من نظام اعلامى جديد أكثر عدالة وتوازنا فى ميدان الاعـلام بين البلدان المصنعة والبدان السائرة فى طريق النمو .

والواقع هو انه رغم استقلال أكثر شعوب العالم فان مخلفـات الهيمنـة الاستعمارية ما زالت قائمة الذات وهى هيمنة قد تكون أقل سفورا ولكنهـا أشـد وطـأة .

يقـول مـزالى :

« ونحن معشر البشر الذين اصبحنا نعيش فى هذه القرية الكبيرة التى صار اليها كوكبنا الارضى حيث أصبح كافة البشر متجاورين تجاورا حميما

وصارت كل المعلومات السمعية والمرئية تكاد تكون فردية تدرك ـ أكثر من أى وقت مضى ـ فعالية الأعلام فى حل مشكلات الانسانية الكبرى : السلام ، الامن ، نزع السلاح ، الجوع ، التزايد العمراني ، الصحة ، الامية ، الطاقة ، حقوق الانسان ... اذا ما سخرت برامجه وتقنياته الحديثة للخير والرفع من شأن الانسان .

ان الطريق لا تزال طويلة وشاقة لبلوغ هذه الغاية فى ميدان الاعلام النزيه كما هى طويلة وشاقة طريق العدل واحترام الشعوب ..

وانه ليحز فى النفس ويدمى القلب ان نرى فى اصقاع كثيرة من عالمنا انماطا بشعة من استغلال الانسان للانسان واشكالا متعددة مقنعة للجشع الاستعمارى رغم التضحيات المبذولة فى سبيل اجتثاث هذه الآفة الشنعاء ، ناهيك ان بعض البلاد الافريقية ما زالت الى اليوم ترزح تحت نير الاستعمار ووصمة التمييز العنصرى ... وهل ادعى الى الحيرة واقسى من مأساة هـذا القرن المتمثلة فى ضرب من الاستعمار بغيض كان من نتائجه تشـريد شعب كامل من أرض آبائه ونعنى بذلك شعب فلسطين الذى قاسى من ويلات القهر والتشريد والتشويه ما لا يستطيع ان يتحمله أى بشر .

ان الكيان الصهيونى لا يزال فى تعنته مصرا على ازدراء القانون الـدولى العام ومقررات الينسكو مما يوجب على المجموعة البشرية ان تـواجـه هـذا التحدى الصارخ للقرارات الدولية وهذا الاستخفاف بالقيم الانسانية .

وهل أدل على ذلك مما يجرى فى مدينة القدس من حفريـات وتخـريب وتشويه وتهويد للمعالم الاثرية وذلك رغم تتابع القـرارات الصـادرة عـن مؤتمرات الينسكو والداعية الى الحفـاظ عـلى التـراث المسيحى والاسلامى لهـذه المـدينة ؟

ومهما يكن فانه ما دام شرف الانسان فى النضال من أجل الغد الافضل فان هذه المنظمة ميدان من ميادين أخرى كثيرة يجد فيها الانسان اطارا للعمـل الصالح ، وهو مثل مشرق وسط الضباب الذى نعايشه ويعايشنا ، وواحـة سلام واطمئنان فى عالم تكالبت فيه الاهواء وتحللت الاشداق ، ومصدر تعقل واتزان فى عصر نغلت فيه القلوب وطغت العاطفة ، وملجأ نسمو اليه بآمالنا ومطامحنا حين تختلط القيم وتدلهم مسالك الحقيقة .

وعلى هذا الاساس .. فان نضال الانسان فى سبيل تغيير ما به متواصل.. الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين » .

ومن ثم يدعو مزالى الى حوار الحضارات ايمانا بالانسان ، وتفانيا فى العمل باللسان والقلم وعرق الجبين من اجل مستقبل بشرى افضل ، قوامه التعارف والتحابب والتعاون المبرأ من شوائب الهيمنة والاستغلال والاستعمار الجديد.. **وان مستقبل البشرية مشروع حضارى متجدد متنام يساهم فيه كل البشر** بدون ميز ولا تفوق (4) .. ويسترسل مزالى فيقول :

« .. لئن أخذنا أنفسنا ـ عملا بالقولة السقراطية الشهيرة : اذا أنت فهمت جيدا التمست لكل شيء عذرا (5) ـ بتفهم الملابسات والالتباسات التاريخية ، وعرفنا العوامل التى تحول الى اليوم دون التفاهم المرتقب ، وقدرنا الوضعيات الموروثة فاستأصلنا كل أسباب النقمة والاحقاد وتفتحنا الى اخواننا فى **الانسانية لنبنى** معا مصيرا فاضلا للانسان حيثما كان ، **فانه على الغربيين ان يبذلوا جهدا** موازيا للتخلص من هذه الرواسب ولا يكون ذلك الا بالوعى ، **والوعى مشروط** بمراجعة ثقافية جذرية للتراث وباعادة قراءة وكتابة التاريخ وتوخى الطرق العلمية بحق لاعطاء كل ذى حق حقه .

ولعل لمنظمة اليونسكو ـ كما اشرنا الى ذلك فى مناسبات عديدة ـ **دورا فى هذا المجال** اذ هى تستطيع ان تتجاوز الحساسيات القومية وتهدىء من غلواء الوطنية المشطة بشرط ان تأخذ بيدها الحكومات وأهل الحل والعقد . وعلى الجامعات كذلك والاساتذة عامة ، مسؤولية كبرى فى تخليص كل الكتب وخاصة الفلسفية والتاريخية والادبية منها ، مما علق بها وترسب فيها من معانى التفوق والاستغلال والعنصرية ، ولازالة حقد الشعوب بعضها على بعض نتيجة الحروب الدامية التى تسبب فيها الغرور وحب التفوق والهيمنة والغزو » .

والاستاذ محمد مزالى مع ما كانت لمجلته «الفكر» من أياد بيضاء على الادب والثقافة فى تونس والمغرب العربى خاصة وفى الوطن العربى عامة مفكر ملتزم تغلب عنده النزعة الفلسفية على الجانب الادبى ومرجع ذلك الى تكوينه الفلسفى

(4) فى دروب الفكر ، ص 172 .

(5) Tout comprendre C'est tout excuser

الجامعي وقد مر بكل اطوار الفلسفة من افلاطون الى باشلار فتشبع باعمق النظريات دون ان ينقاد الى احداها بالخصوص فوعاها جميعا ولم يكرع منها الا مااقتنع وآمن به من «سبر أغوار النفس واسكناه منزلة البشر وقدرتهم على الفعل والخلق وروعة الانسان من أجل السيطرة على نفسه والرفع من منزلته وصراعه الدائم في سبيل حياة أفضل ...».

وهكذا تبدو نظرية محمد مزالي كتعامل متين خلاق بين الفكر الفلسفي الحق والواقع المعيش وهو ما يسميه « بالنظرية التفاعلية » الاستاذ محمد الامين خلفة صاحب كتيب « محمد مزالي والنظرية التفاعلية » الصادر أخيرا في مارس 1984 عن الدار التونسية للنشر والذى يحاول فيه الكاتب استنتاج فلسفة محمد مزالي وعرضها في وضوح اعتمادا على آثاره الفكرية ومواقفه السياسية وانجازاته العملية مبينا ان ليس هنالك جدلية بين العقل والواقع بل تفاعلية بين الذات والواقع .

ويعرف الاستاذ الامين خلفة تفكير محمد مزالي بالفلسفة العملية انها خلافا للنظرية الثابتة تعتمد أساسا على الظاهرة التطبيقية الدائبة الحركية تبعا للواقع الظرفي المتطور على الدوام شأن الحياة نفسها ضمن المسيرة التاريخية للبشرية عن طريق الفعل والخلق مع الاحتفاظ بالاصالة والتعلق بالقيم الدينية السامية الخالدة التى لا مندوحة عنها للسعي الدائم الى تغليب الخير على الشر والحق على الباطل والجمال على القبح والحرية على العبودية في سبيل تحقيق الافضل خدمة للآخرين .

ونحن الذين رافقنا محمد مزالي في مسيرته الفكرية نعلم يقينا ان قوله كان دائما ولا يزال حديث الفعل وأن نظرته الى المستقبل البشرى كانت دائما ولا تزال تفاؤلية ترفض المستحيل وانه كان ولا يزال شديد الاعتزاز بمنجم الفكر العربي الثرى الذى يجب عليه — ولن يصعب على خصوبته — ان يقوم من جديد — على شاسع البون اليوم بينه وبين مشارف العلم المعاصر — بالدور الهام وحتى الرائد في دعم الحضارة الانسانية غير « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وهكذا تبدو شخصية المفكر الكبير والفيلسوف الانسان محمد مزالي بفضل تكوينه الفلسفي وتتلمذه للطريقة البورقيبية وممارسته للفعل .

وهو في ذلك مؤمن بنظرية روجيه ڤارودى المفكر الفرنسي الكبير ، الذى دعا الى الحوار بين الحضارات ، وكتب مزالي يدعو الى حوار حقيقي بين الشرق

والغرب (6) ، وكتب يقول :

انه لا توجد حضارة واحدة ، بل حضارات ، كما انه لا توجد ثقافة واحدة مهيمنة بل ثقافات ، فكل الناس ـ باستثناء العنصريين والاستعماريين الذين **لا يتعظون بالاحداث ـ مثقفون، على أن الحضارة العالية انما هي حصيلة اسهامات** متعددة مختلفة تأتي من كل الشعوب ومن كل الثقافات . ولذا يتعين أن يتم تنظيم المبادلات الثقافية على أساس التعامل بالمثل : ان جدلية الاخذ والعطاء يجب أن تقود خطانا منذ الآن ، فلكل شعب ذاتيته الخاصة وعبقريته القومية وان التعاون هو أيضا اثراء متبادل يفترض احترام الغير والتواضع والتسامح والاستعداد النفساني والفكري من قبل كل فرد وكل شعب للتعرف الى طرافة ما اسهم به الآخر وتقبله ان وجب الامر .

وفي هذا السياق يجدر ان نؤكد النزعة العدوانية واخطار التسطيح التي تنشرها على رؤوس الاغلبية الساحقة من الشعوب ـ لا الشعوب المتخلفة فحسب ـ **هذه** الاجهزة السمعية البصرية ووسائل الاتصال **الجماهيري التي تفرضها التقنيات** العصرية والتي **«تطرق» الضمائر** وتطوقها **لصالح قوى تجاريه وسلطات** مادية لا هم لها الا تجميع الثروات على **حساب أكثر الناس ضعفا وسذاجة** . ولقد لفتت الجلسة العامة لليونسكو سنة 1972 **انتباه المسؤولين** الى الاسقاطات الخفية المتعدد ادراكها **والمتنزلة من الوسائل** التكنولوجية والبرامج المنحوتة بالثقافة والمذاعة « من فوق رؤوس الشعوب » ـ **بأتم** معاني الكلمة ـ والتي **توشك ان تضر بطرافتها وان تستلب** شخصية الامم .

ونحن لا ندعي ـ درءا لهذا الخطر ـ انه بوسعنا ان نبسط المظلات الواقية **في كل مكان ، بل انه ينبغي لنا ، اذا ما اتفقنا على تحليل هذه الظاهرة ايجاد** البيداغوجية القادرة على تكوين شبابنا بطريقة تمكنه من الاحتفاظ بذاتيته والامتزاج بالكثرة مع اجتناب عدوى هذه الاسقاطات « الثقافية » التي تصر على جرنا الى (جناتها) جرا ، **ان مثل الروح كمثل الجسد ، اذا تحصن قاوم** الجراثيم التي تسكنه وقدر على احتوائها اما اذا كان واهيا غائلا « مشوشا » من جراء عوامل أجنبية عنه ، فانه يضمحل ، وفي ذلك انبثاث المرض الثقافي واستشراؤه ، ثم الموت .

---

(6) «الفكر» السنة 23 ، العدد 8 ، السنة 1978 .

هذا الشكل مطروح على كافة البلدان . ولقد استمعت شخصيا بمناسبة **انعقاد الجلسة العامة لليسنكو التى اشرت اليها آنفا ، الى ممثلين لاقطار** أوربية كبرى « نشيطة » ـ بل « غازية » فى علاقاتها الثقافية مع العالم الثالث ـ يعبرون بدورهم عن شديد مخاوفهم ازاء امكانية « اغتصابهم » فى سلامة ذاتيتهم القومية عن طريق هذه الحملات « الثقافية » التى تعدها الدولتان العظيمتان اللتان تسيطران على التكنلوجيا الفضاء ، طالما ان كلامنا متخاف بالنسبة الى غيره ! ومهما يكن من أمر ، فانه يحق للاقطار النامية ان تضاعف من جهودها وتبصرها للمحافظة على ثقافتها وان تفكر بجد فى محتويات **الانظمة التربوية المقدمة لشبابها** .

وهكذا فاننا جميعا ، سواء انتمينا الى الضفة الشمالية او الضفة الجنوبية **للمتوسط ، نجابه معا نفس المشاكل وتتهددنا نفس الظواهر** .

فينبغى اذن ان ينهض كل منا بحضارته ويخصب الفوارق القائمة بيننا وفى نفس الوقت يجب ان نتعاون ، أى ان نأخذ ونعطى وان نتكامل وان يثرى **بعضنا الآخر ، وان نناضل معا ضد كل شكل من اشكال التلوث الثقافى ..»**

ويذهب مزالى ـ انطلاقا من عبقرية الشخصية العربية **التى يصدر عنها ـ الى** الدفاع عن ثقافتنا القومية بابعادها العربية الاسلامية ، والحوار الصادق البناء الذى ننادى به مع الثقافة الفرنسية وبوجه أعم مع **الثقافة الغربية ـ وكذلك** مع الثقافات الاخرى ـ علاوة على مظهره المساعد المثرى بالنسبة الينا ، يمكن **ان يفيد الغرب ايضا رغما عن الفوارق الاقتصادية والتكنلوجية .. يقول :**

« انى لشديد الانتباه لما ينشر بأوربا وخاصة للدراسات الخاصة بمشاكل **الحضارة . ولقد قرأت عددا من المؤلفات والفصول لسيدين «موريس دريون»** و « روبير مالى » اللذين استشهد بهما لحضورهما معنا ، ولاحظت ما يعبران عنه فى مؤلفاتهما من حيرة بل ومن شعور بالضيق ، ولقد خص « ريمون ارون » هذه الظاهرة بصفحات رائعة ، كما ان « مالرو » لم ينفك يحلل حتى الممات ما اسماه بازمة الحضارة الغربية ، وان من بين الاستفهامات الممضة التى انطوى عليها كتابه الاخير (الانسان العابر والادب) ما يتعلق بمعرفة هل ان **الغرب المصنع ما زال قادرا على افراز حكمة جديدة »** .

وبعد مرور خمسة وعشرين قرنا على موت افلاطون يتساءل اليوم عدد كبير **من كبار المفكرين بلهجة واخزة الى ابعد حدود الوخز ، عن السعادة ومعنى** الجهد ، انهم يتساءلون عما اذا كان النمو الاقتصادى يضمن بمفرده نشر السعادة والسلام بين البشر .

وبدون ان ندعى كما يفعل عدد من الغربيين انفسهم ان العالم الغربى مقلوب رأسا على عقب ، فضلا عن كوننا لا نستطيع ارجاعه الى نصابه فانه ليس من قبيل الادعاء ان نؤكد ان الشرق وان العالم العربى الاسلامى وان تونس بوسعها ان تساهم رفقة الشعوب الغربية فى تحريك العزائم ، وتأتى بما يشهد بطراوتها وان توجد لغة جديدة بامكانها ان تفضى الى حوار حقيقى بين الثقافات وتيسر تآلف الافكار .

اذا كنا جميعا ــ بفضل قيمنا الروحية المشتركة واحساسنا الموحد بمعنى المغامرة الانسانية ــ على اقتناع بان حضارتنا ــ خلافا لتأكيدات «لانك» وغيره من المفكرين والاطباء النفسانيين العديدين ــ ليست ضربا من ضروب الاسر ، ففى أى اطار وبأية لغة وكيف نرد الفعل ونناضل من اجل ان لا يكون الجسم سجنا والعمل عبودية والمجتمع اداة استلاب ؟ كيف نحرر الانسان ونتيح لكل فرد ان « يرتاح الى نفسه » ، ان يعيش حياته ، ان يتفتح ، ان يتجاوب مع الآخرين فى كوكبنا الذى يعتبره بعضهم «صخرة قردة» عظيمة ، كيف نخلص المواطنين من «مسالك الخردة المصهورة» التى اصبحت عليها شوارع المدن الكبيرة ؟ وهل من أمل فى خلاص العمال مما قدر لهم من مد وجزر بين مكان الشغل وحافلات النقل والنوم ؟ اية ثورة ثقافية ينبغى القيام بها لمكافحة الآلية التى فرضها التصنيع حتى لا يؤول العمل الى « استفراغ الدماغ » والقضاء على الانسان ؟ كيف العمل لمكافحة نزعة القطيع فى الاقتداء بالموضات والنزول بالثقافة الى مستوى الاشياء ومكافحة العنف والمخدرات والانتحار وهى ظواهر تشهد اليوم انتشارا مقلقا فى الاقطار الثرية على الاخص ؟ كيف نتجنب خطر تفليس الفكر ، وخطر حضارة مضادة يكون فيها شطط العقلانية القاسية والايجابية المؤدية الى التشاكل ــ غامرا أكثر فأكثر لنشيد الرقة والفن والايمان والحرية والحاسية والخيال والحب القادرة كلها على خلق المستقبل واختراعه واعادة استنباط الحياة ؟...

ان الامر يتعلق بمشاكل حقيقية ارتبطت بطبيعة الانسان او فرضها ضرب من النمو ، ولسنا فى تونس وفى العالم العربى عنها بمنجى ولكننا قادرون اذا وحدنا الصفوف على ان نتصالح مع انفسنا وان نواصل التقدم بالتنقيص من مصادر الضرر وبالعمل من اجل اقرار السلام والسعادة فى العالم .

(يتبع)

د. محمد عبد المنعم خفاجى
(القاهرة)

تونس الحب .. تونس الياسمين ..

شعر: الحبيب الهمامي

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ استطعتُ الجنون   وعشقك تونس كان الدليلا
دَمي واضحٌ في عروقك ، حينا   يكون طيورا ، وحينا نخيلا
أتونس أنتِ ؟ أَمِ الكون حطّ   علَى البحر حُلما جميلا ؟
لمَجردة الآن أفتح روحي   فيشدو ويشهر في الرحيلا
فَمرحى بحمّى المياه واهلا   بزُغرودة العشبِ تُحيي القتيلا
وهذا النخيلُ يُطِلّ عليّ   ويمنحني الغيب والمستحيلا
يَدُقّ دَمي باخضرارِ السُّؤال   ويقرأ لي مِنْ شذاه قليلا
هُنا البُرتُقالُ يمدّ البَهاءَ   هناك الزياتين تروي الغليلا
وإني أرى الشمس لا تتوارى   أرى الشمس ضوءا وظلا ظليلا
أرى القمر الذهبيّ العُروق   يَغَارُ مِن الشّمس فالصبر عيلا
وللبحر بينَ الجبال احتفال   وما بينهم كان عرشي ضئيلا

* * *

أتونس اينَ التي عَزَفتني   كثيرا وزادتْ جنوني صهيلا ؟
وكيف السبيل إليها ؟ وليس   لها من شعاع البهاء مثيلا
هيَ امرأةُ الغيثِ وهيَ السؤال   يُوسوس مِنْ ألمي أرخبيلا
أتونس كيف أخاصر عشقي   وقلبي شبيه بجرح شتيلا ؟
على باب « قُرْبة » شدّ البهاء   ضلوعي فعاد الفؤاد كليلا
بجرّ الهوى والهوى يتقرّى   عذاب الجنون ويُشقي الخليلا
أتونس قولي « لقُرْبَةَ » كيف   وقفتُ على شهواتي ذليلا ؟
وكيف طلبتُ منَ البحرِ فصلا   يزغرد دربي فألقى الدليلا ؟
أتونس ، غابت شموسي جميعا   فكوني ضيائي ، وكوني البديلا .

مجلة "الفكر": الوسيلة هي الرسالة

بقلم: د. عبد العزيز شرف
(مصر)

يذهب التفسير الاعلامى للادب الى ان اكثر المسائل الفنية صعوبة واشدها تعقيدا تتضح لنا حينما ننظر اليها على اساس الجوهر الاتصالى للآثار الفنية والادبية ، ذلك ان معظم خصائص العقل البشرى التى تميزه عن غيره انما ترجع الى كونه أداة للاتصال . او كما يقول ريتشاردز : «حقا ان التجربة لا بد ان يتم تكوينها قبل ان يبدأ توصيلها ، غير أن التجربة عادة تأخذ شكلها المألوف لان وجوب توصيلها امر محتمل الوقوع . ولقد جعل قانون الانتقاء الطبيعى القدرة على الاتصال لدى الانسان عاملا ذا اهمية بالغة . واهمية الاتصال اكثر ما تكون فى ميدان الفنون . ففى الفنون تظهر عملية التوصيل فى اسمى صورها» .

واذا كنا بذلك قد طرحنا الافتراض الاساسى ، وهو أن الادب يقوم على جوهر اتصالى ، فان عمليات التفسير الاعلامى للادب تقوم على أساس من النموذج الاتصالى الشهير : من (الاديب) ؟ يقول ماذا (الرسالة) لمن (الجمهور) وبأية وسيلة : (وسائل الاتصال بالجماهير) وبأى تأثير ؟ ولأى هدف ؟

فالاديب والمضمون والوسيلة والمستقبل والاستجابة انما هى جميعا حلقات متصلة فى سلسلة واحدة . وينهار العمل الادبى اذا اعترت هذه السلسلة نقطة ضعف فى اية حلقة من حلقاتها ، فالعمل الفنى الحقيقى هو ــ كما يقول تولستوى ــ «ذلك الانتاج الصادق الذى يمحو كل فاصل بين صاحبه من جهة، وبين الانسان الذى يوهبه اليه من جهة اخرى ، ثم هو ايضا ذلك الانتاج العامر بالعاطفة الذى يكون من شانه أن يوجد بين قلوب كل من يوجه اليهم».

واذا كان التفسير الاعلامى للادب يتميز من مناهج التفسير الادبى الاخرى باهتمامه بالوسائل الاتصالية فى الابداع الفنى ، فان رائده فى ذلك يرجع

الى التراث العربى ، والاسلامى ، اذ تنبه ابو الحسين الكاتب فى كتابه «البرهان فى وجوه البيان» والذى نسب خطأ الى قدامة بن جعفر باسم «نقد النثر» الى ارتباط الابداع الادبى بالوسيلة الاتصالية حين قسم وجوه البيان الى البيان بالقول «الحضارة السمعية» والبيان بالكتابة «الحضارة التدوينية». ووفقا لنظرية الاعلام فقد انتقلت الحضارات الاتصالية من الحضارة السمعية الى الحضارة التدوينية الى حضارة الطباعة ثم حضارات السنما والاذاعة والتليفزيون حتى حضارة الآلية الذاتية .

وكانى بهذا الكاتب العربى القديم قد توصل الى مقولة عالم الاعلام الشهير ماكلوهان والتى يعتمد عليها التفسير الاعلامى للادب ، وهى ان «الرسالة هى الوسيلة » ، ذلك ان اى تقدم تكنولوجى من شأنه ان يبدع بالتدريج بيئة انسانية جديدة تماما . فالبيئات ليست مجرد اغلفة سلبية ، بل انها تشكل عمليات ايجابية .. وكما استطاعت الكشوف التكنلوجية الخصبة ان تبدع سلسلة كاملة من البيئات الجديدة فان الانسان قد ادرك ان الفنون هى «بيئات مضادة» او انها «ترياق» يمنحنا الوسائل التى تمكننا من ادراك البيئة ذاتها .

وليس من المبالغة ان نقول مع القائلين ان مستقبل المجتمع الحديث واستقرار حياته الداخلية يتوقفان الى حد كبير على المحافظة على التوازن بين قوة تقنيات الاتصال وقدرة كل فرد على الاستجابة لها . وقد ذكر أ. ج. ليبلنج (Liebling) فى كتابه «الصحافة: The press » ان الانسان لا يمكن ان يكون حرا اذا كان لا يعرف أين هو ذاهب . حتى ولو كان يحمل بندقية لهذا الغرض . ان كل وسيلة هى سلاح يمكن استخدامه لتوجيه ضربات للآخرين ، او لوسائل اتصال اخرى . ولهذا السبب فان العصر الحاضر هو عصر عدة حروب أهلية لم تقف عند حدود الفن والترفيه .

وقد ذكر الاستاذ ج. ر. نيف (Nef) فى كتابه «الحرب والتقدم الانسانى (In War And Human Progress) » ان الحروب الشاملة فى ايامنا هذه هى نتيجة سلسلة من الاخطاء العقلية» ..

واذا كانت القوة الخلاقة لوسائل الاتصال تكمن فى الوسائل نفسها ، كما يقول ماكلوهان ، فان ذلك يثير عددا من المسائل الهامة حول مجلتنا التى نحتفل بثلاثينيتها اليوم ، مجلة « الفكر » التى تناغمت فيها « الرسالة » مع «الوسيلة» لتؤكد هذا المعنى .

ذلك ان هذه المجلة ـ كوسيلة ـ تنتمى الى الحضارة الطباعية ، التى مددت عقول الناس وأصواتهم ، وأعادت تشكيل حوار انسانى على نطاق واسع ، يتجاوز حدود الزمان ٠

واذا ما نظرنا الى الطباعة على أنها مجرد وسيلة لاختزان المعلومات ، أو الاسترجاع السريع للمعرفة، فاننا سنجدها بهذا المعنى قد حطمت النزعات الفكرية والقبلية محدودة النطاق تحطيما سيكلوجيا واجتماعيا ، سواء من حيث المكان او الزمان ٠

وللطباعة ـ شأنها شأن اى حزب من امتدادات الانسان ـ كما يقول ماكلوهان ـ نتائج سيكلوجية واجتماعية تتجلى بوضوح فيما تحدثه من تغيير مفاجىء لحدود ونماذج الثقافة السابقة ٠ وحينما تم مزج العصر القديم بالعصر الوسيط ـ او الخلط بينهما كما يحلو للبعض أن يقول ـ فان الكتب المطبوعة قد خلقت حينئذ عالما ثالثا هو العالم الحديث الذى يواجه الآن تكنلوجية جديدة ، أو امتداد جديدا للانسان ، الا وهى التكنلوجية الكهربية ولقد غيرت الوسائل الكهربية المستخدمة فى نقل المعلومات من ثقافتنا الطباعية بنفس الطريقة التى غيرت بها المطبوعات الثقافية المدرسية المخطوطة التى سادت العصور الوسطى ٠ وليس هناك شىء ابعد عن الثقافة الطباعية ، تلك الثقافة التى «جعلت لكل شىء ، وبكل شىء مكانه» ٠

لقد أحدث امتداد الانسان فى مجال الطباعة تأثيرا اجتماعيا هاما تمثل فى ظهور القومية ، والصناعية ، ونمو الاسواق الجماهيرية ، ومحو الامية ، والتعليم العام ، ذلك ان المطبوعات قد مثلت صورة الدقة المتكررة التى اسهمت فى ظهور أشكال جديدة ، تماما من امتداد الطاقات الاجتماعية . لقد اضفت حروف الطباعة على الانسان شخصية قوية ، واعطته شجاعة التعبير ٠

ولقد كان تطور الصحافة المطبوعة أكثر الابتكارات التكنلوجية تأثيرا على الانسان. ولقد رأينا أن القصة العربية الحديثة ثمرة من ثمار الصحافة التى قدمت فنونها مترجمة اول الامر ثم قدمتها مؤلفة بعد ذلك وطبعتها بطابع الوسيلة الاعلامية الجديدة شكلا ومضمونا ٠

وتأسيسا على هذا الفهم فان دراسة مجلة الفكر فى اطار دراسة الصحافة الادبية يعد من اهم اوجه الدراسة الادبية والاعلامية ، ولا سيما أن دراسة

الادب المعاصر ـ كما يقول د. شكرى فيصل بحق ـ لا تلقى بالا الى هذه الصحافة الادبية الثروة التى مهدت لهذا الادب واغنته ووهبته وجوده . فان أكثر الذين يدرسون هذا الادب يقفون عند الاثر الادبى : عند الديوان أو عند الكتاب ، او يقفون عند ترجمة صاحب الاثر الادبى ولكنهم يغفلون عن مراجعة التربة التى نشأ فيها وتقلب فى اعطافها فى الحياة الادبية وقد لا يضعون أدبه فى مكانه من النتاج الذى كان من حوله .. اى لا يضعونه فى حيزه من لداته واقرانه فى الظروف التى نشأ فيها وفى الشرائط التى احاطت به فكونته أو أخرجته هذا المخرج .. وبذلك يهملون مصدرا ثرا من المصادر التى تعينه على ادراك مدى تأثر الاديب بمن حوله أو غيرته ممن حوله أو انحرافه عمن حوله . انهم او اكثرهم ينصرفون عن دراسة تطور الادب فى هذا النحو من رصد التطور .

من اجل ذلك اردت لفت انظار الدارسين الى هذه الدراسة الاعلامية الادبية مجددا ، ونحن نحتفل بثلاثينية مجلة الفكر ، التى لا ننظر اليها على أنها مجرد «وسيلة» توصيل ، ولكن على اعتبار ان «الرسالة» فيها هى «الوسيلة» ان جاز التعبير ، فهذه المجلة تتجسد لنا فى ضوء هذا الفهم كائنا حيا يغدو ويغتذى يفعل وينفعل ، تتعاون عليه كثرة من العقول والقلوب ، فيكون من ذلك هذا الاثر الذى نتحدث عنه اليوم : مجلة الفكر ، والتى أصبحت بحق من أهم المؤسسات الفكرية فى حياتنا العربية خلال الثلاثين عاما الماضية .

لقد وجدت مجلة الفكر مع هذا التقدم الفكرى الذى غمر العالم العربى .

ومن حديث صحفى مع الاستاذ مزالى تحدث عن «قصة انبعاث مجلة «الفكر» قال :

«اقبلت على مطالعة المجلات الادبية منذ ان كنت تلميذا بالمدرسة الصادقية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وولعت بها لانى وجدت فيها الغذاء الروحى والمتعة الادبية واستقيت منها ما اكمل تكوينى العام وسد بعض الثغرات التى لم تخل منها البرامج المدرسية فى ذلك العهد وقد اقبلت خاصة على مجلة المباحث التى كان يرأس تحريرها الاستاذ محمود المسعدى ويشارك فيها بالخصوص الاساتذة على البلهوان وعبد الوهاب باكير ومحمد باكير ومحمد السويسى والصادق مازيغ ومحمد الهادى العامرى وغيرهم من الشعراء والقصاصين والباحثين ... وتألمت كثيرا عندما توقفت هذه المجلة كما توقفت من قبلها مجلات كثيرة وفى مقدمتها (العالم الادبى) .

وكانت «الرسالة» و «الثقافة» و «الكاتب المصرى» و «الكتاب» و «الهلال» وغيرها من المجلات الشرقية تبرز بانتظام ويقبل عليها الناس فى بلادى بكل شغف وكأنهم يعتبرون طبيعيا ان تهب ريح الادب من الشرق فقط وان تاتيهم المعرفة ويهبط عليهم الوحى من البلاد العربية دون بلاد المغرب الكبير ـ بله تونس ـ وانه من المناسب لطبيعة الاشياء ان تكون هذه البلاد عقيما فاذا برز مشروع أدبى للوجود سرعان ما يصيبه الوهن وتتألب عليه جاذبية الشك وداء فقدان الثقة فى النفس وعقارب التهافت والعصبيات الى هوة الموت واعماق النسيان ٠

وكان من الهين ادراك ما لسياسة الاستعمار والثقافة من مسؤولية فى تثبيط العزائم ووأد الهمم فكنت أتمنى وأنا طالب ثم استاذ ان اساهم فى بعث مجلة تخدم الادب التونسى وتحيى الثقافة القومية وتقاوم السموم التى كان ينفثها تعليم الحماية فى نفوس الاجيال جيلا بعد جيل ٠

وكنت حريصا على ان اقيم الدليل على انه فى الامكان بعث مشروع ثقافى وتعهده وقبول كل أنواع التضحية فى سبيله كى يكتب له البقاء ويوفق فى اداء رسالته ، طالما كنت مؤمنا بان التونسى لا ينقصه طول النفس ولا يعوزه الايثار والتفانى اذا اهتدى الى منهاج العمل الصحيح وتمسك بالقيم الاصيلة التى يجب ان تكون نبراسا له ومرجعا ٠

وكنت سعيدا بالعمل ضمن أسرة «الندوة» سنتى 1953 ، 1954 ، وبذلت جهدى كى تستمر فى البروز ٠

وفى تلك الظروف القاسية التى كان الشعب التونسى يقاوم فيها الاستعمار بشتى الوسائل ظهرت بوارق الامل وجنح المحتل الى السلم وبدأت المفاوضات بين تونس وفرنسا على أساس الاستقلال الذاتى ثم التام ورجع المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة من سجونه ومنافيه مظفرا منصورا ، ففكرنا فى الحزب وفى اوساط الاساتذة والمثقفين ، الذين كان اكثرهم من المضطلعين بمسؤوليات فى الحركة التحريرية او فى نقابة التعليم الثانوى او الجامعة القومية للتعليم فكرنا فى انشاء مجلة ثقافية وتحملت ـ فى اندفاع متعقل ، وتفكير متحمس ، ومغامرة محسوبة ـ هذه المسؤولية بكل شرف واعتزاز ، يحدونى الامل فى النجاح حيث اخفقت مجلات اخرى كثيرة من قبل ، وتعم

قلبي الثقة في المثقفين وجمهور القراء بهذه البلاد التي طوت صفحة مظلمة وأخذت تتهيأ لان تعيش حياة الحرية وتقرير المصير في نخوة تضاعف طاقات العمل ، وحمية تتحدى المستحيل » .

ثم يقول الاستاذ مزالي محددا أبعاد « الرسالة » في « الوسيلة » :

والمجلة قد تكون الاطار العلمي المناسب ليعبر فيها المفكر، والمثقف عامة،عن آرائه ويبلغ بواسطتها شهادته ، ويناضل في اطارها عن افكاره سعيا الى التجديد وثورة على الاوضاع البالية وتشهيرا بالاغراض الزائلة وتمهيدا الى الغد المرتقب .

ويذهب جورج ديهاميل الى ان المجلة تجمع بين الكتاب والجريدة ، وهي كما يدل عليها معنى لفظها الاشتقاقي (Revue) بالفرنسية اي استعراض ، تسعى او تحاول ان تسعى الى ان «تستجلي» اي توضح حقبة من العالم ، ولقد مارست المجلة على تعاقب الاجيال ، نفوذا شديدا في التكوين الاجتماعي والاقتصادي ، وذلك بتنظيم الميول والاذواق وتنشيط التجارة وصياغة الرأي العام . وظلت المجلة على تعاقب الاجيال - كما يقول بوند مدركة لحاجات الجمهور وأذواقه ، ولعبت أدوارا متوالية كحكم أدبي ، ومدافعة عن عقيدة ، وحاملة على الفساد ، واداة امتاع ومؤانسة .

بحيث اذا تناولنا مجتمعا متقدما ، وأردنا أن نستقصي اتجاهات التفكير فيه لم نجد الى ذلك سبيلا أفضل من أستعراض المجلات التي تصدر في هذا المجتمع ، فهي تعالج مختلف العلوم والفنون والاتجاهات والاذواق ، تطبع مصورة وغير مصورة ، منها ما يعالج امور الدين والفلسفة ومنها ما يعالج علوم الدنيا كالطبيعة والكيمياء ومنها ما يختص بالمهن المختلفة ومنها ما يعالج الفلك والنجوم في مسالكها ومنها ما يكتب في الادب الرفيع ومنها ما يختص بالقصص الرخيص ونشر الفضائح والانحرافات .

وتقف المجلات المتخصصة نفسها على البحث في موضوع معين كالمسرح مثلا أو السنما ، أو العناية بالطفل أو ما الى ذلك ، ومنها مجلات المسرح والسنما والشعر والقصة ، التي تصدرها وزارة الثقافة .

وتعنى المجلات الفنية والمهنية بما تدل عليه أسماؤها تماما فلكل مهنة وتجارة وحرفة الآن منشوراتها الخاصة ، تختص بالاعلان والطب ، والتعليم، والجغرافيا ، والصحافة والعمال والراديو . الخ .

وللمجلة ــ كما يقول ديهاميل ــ على الحوادث اليومية نوع من الرقابة ، وهى تصفى تلك الحوادث ٠ او على الاصح ترفع من قيمتها ، اذ يمر ما يعلو تفاصيلها من غبار بمنجلها فيختفى ، ولا يبقى منها الا ما يصح لان يكون غداء لتكوين النفوس الحريصة على ذاتيتها . فالمجلة الحقيقية يجب ان تحمل أثرا لكل ما يحدث فى العالم ، ولذلك يقول الاستاذ مزالى عند صدور مجلة « الفكر » :

«كان من طبيعة الاشياء ان تظهر مجلة ثقافية وان تعيش من يوم ان هب نسيم الحرية على هذه البلاد وانها بذلك سدت حاجة ملحة كانت تقتضيها طبيعة ارحلة التى مر بها الوطن .. » .

«ولكن لماذا عمرت مجلة واحدة ؟ ولماذا اختفت مجلات اخرى كثيرة بعد ان برزت فى عهد الاستقلال ؟ يجيب الاستاذ مزالى :

«الحقيقة ان هذا النسق من التفكير يذكرنى بموقف عدد من المثقفين التونسيين كانوا يتفرجون ايام كفاح الشعب التونسى من اجل كرامته واستقلاله وربما كانوا يستهزئون من نزول بعض زملائهم الى الميدان وتحمل التضحيات ودخول السجون والمنافى ، حتى اذا تكلل هذا الكفاح بالنجاح واستقلت تونس وفتحت الباب لشعوب شقيقة وصديقة فى شمال افريقيا ووسطها ، قالوا : هو التيار التاريخى القاضى بتحرير الشعوب وأفول نجم الاستعمار ، ان هذا التفكير لا يخلو من «جبرية» مشعور بها ام لا ، وهو يعتمد على معتقد ماورائى يسمى « التاريخ » يحجب عن الاعين رؤية كفاح الرجال والزعماء والرسل والعلماء والبحاثين والادباء وما فى هذا الكفاح من جهد وجهاد وآمال وآلا ، ومحاولات واخطاء وتفاؤل وتشاؤم ، وحماس وانكسار ، ومن صبر ومثابرة ومغامرة وحظ ...

ولا أزعم ان المسؤولين عن مجلة « الفكر » فى هذا المستوى من التضحية والقيمة ، ولكنى أعتقد ان ايمان الفرد وقابليته على التعاون مع الغير وتجاوز الاعراض فى سبيل الجوهر من شأنها ان تخلق التاريخ او ان تغير مجراه ٠

قلت : إن هذا المشروع لم يكن عفويا طبعا لانه كان ثمرة عزيمة مترشدة وايمان واع ولم يكن حتميا فرضته قوة ماورائية قد تسمى ــ اليوم ــ التاريخ، بل كان ولا يزال نابعا من اختيار شخصى ومستمدا قوته من غيرة جماعة من المثقفين فى هذه الديار على اصالة الادب التونسى وضرورة خدمته واعانة الشباب على حمل المشعل ومواصلة النضال» ٠

ويذكر الاستاذ مزالي

«ان اول اجتماع لاسرة الفكر انعقد بمقر مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم القديم بنهج سيدى البناء وحضره معى الاساتذة على البلهوان والطيب السحباني ومحمد الطالبي .

والى جانب الاستاذ على البلهوان الذى مد المجلة بتوجيهاته ومقالاته الى ان مات رحمه الله لكنه لم يحضر اجتماعات أسرة المجلة الاسبوعية ، التف حول المجلة فى الاشهر الاولى الاساتذة محسن بن حميدة والطاهر قيقة ومحمد الطالبى والطيب التريكى والعروسى المطوى والبشير العريبى والهادى حمو وخميس المكنى والبشير بن سلامة والحقيقة ان الكثير من هؤلاء الاصدقاء حالت مشاغلهم دون مواصلة المشاركة فى اعمال اسرة المجلة بانتظام ، وانضم مثقفون آخرون كثيرون كل حسب شواغله او طول نفسه ، والباب مفتوح دائما على اساس خدمة الادب التونسى وتجاوز القضايا الهامشية والعاطفية والسعى المتواصل لتشجيع الشباب واعدادهم للاضطلاع برسالتهم فى تونس الجديدة المتجددة» .

ويلخص الاستاذ مزالي خطة مجلة ــ الفكر ــ فى النقط التالية :

1) الحرص على الاصالة القومية وتحسس طرافة الشخصيــة التــونسية وخصائصها تخلصا مما علق بها او لونها من غريب النزعات واجنبى التيارات طيلة قرون . ودرءا بالخصوص لرواسب ما سعى المحتلــون الغاصبــون الى غرسه فينا من سموم وتنشئتنا عليه من ردود فعل دخيلة على مزاجنا واعمق اعماق نفوسنا ، متنكرة لواقعنا ، مخلة بكرامتنا فنحن امة عــربية اســلامية تتوق الى المطلق وتؤمن بالله وتخلص للقيم العليا ولا تساوم او تتــواطأ فى نصرة المبادىء السامية ، ونحن كذلك امة تنتسب منذ فجر تاريخها الى حوض البحر الابيض المتوسط قد أخذت من حضارته المشرقة وتراثه الثرى وامتزجت بشعوبه المختلفة وتفاعلت مع تياراته الفكرية المتكاملة ، ورسب فى اعماقها من هذا وذلك ايمان بالانسان وبقدرته على تجاوز منــزلته وتحــدى المطلــق ومحاولة الخلق والابداع ، كما طبعت نفوس ابنائها على الاعتدال والتسامح والتفتح وجبلت على الشعور بالتضامن مع البشر ، كل البشر والرضا بتحمل تبعات وحدة مصير الانسانية .

فنحن أمة مثالية وواقعية ، معتزة بماضيها ومنصــرفة بكليتهــا الى بنــاء مستقبلها ، ومتشبثة فى كفاحها بنبل الغاية على قدر تمسكها بسلامة الوسائل حريصة فى مستوى الفكر على التعاون مع كل الامم على قاعدة : الاخذ على قدر العطاء .

اذن فنحن لا نؤمن بما يسمى «الاهمية» المطلقة او الجوفاء التى تدعو الى تجاوز الشعوب والسمو عن الاوطان بل نعتقد ان كمال الانسانية وانتصار الانسان فى مغامرته الوجودية الكبرى وتحقيق السلم بين الناس على اساس التعاون الحق والتقدير المتبادل لا يتكون كلها الا اذا تخلصت كل أمـة مما قد يشوهها او يمسخها ، واذا اخلصت لروحها وهويتها ، ثم انتسبت الى البشرية فاشعت واعطت وساهمت بقسطها فى رفعة الانسان واثراء الحضارة البشرية وتطور المعارف والعلوم والفنون .

هذا الموضوع فى مقدمات العمل الفكرى والسعى الى معرفة النفس قبـل معرفة الآخرين ، بله الاعتماد عليهم او الذوبان فيهم ، وهذه المساهمة فى نماء الثقافة الاصيلة وازدهار الادب التونسى الصميم بوصفهما عينا ثرة واجبة الوجود والتدفق المعطاء ، من بين عيون الثقافة الانسانية والآداب العالمية ، لم نزل نؤمن بها وسنظل دائما ندعو لها ونرفع الغشاوة عن أعين ضحايـا الاستعمار الثقافى او كل من لا يميز بين التعاون والتطفل ، الابتكار والتقليد، القيادة والتبعية ، الانتاج والاستهلاك .

2) بقدر ما نتشبث باختياراتنا الكبرى السابقة التى هى مصيـرية فى اعتقادنا ، اذ من دونها لا نرى ضرورة فى نشر كتاب أو خلق مجلة بحيث يمكن الاكتفاء بالتقاط الفتات من موائد الغير ـ كما يقال ـ بقدر ما نجتنب التقيد بمنهاج دون آخر أو مدرسة دون أخرى أو جيل على حساب جيل آخر ، بـل نحن نؤمن بان شر ما يصيب المفكر اذ يفكر الحد من حريته فى الخلق بدعوى الاخلاص لشعار معين أو الوفاء لعقيدة بالذات .

فالتمذهب الاعمى هو عدو الفكر وهو بمثابة السجن او الكفن ، انه حجاب يحول دون رؤية الكون واستشفاف الحقيقة المجـردة ، النسبيـة فى المكـان والزمان دائما ، و«المذهب» الذى نادينا المثقفين بالعمل على تبينه وتحديده منذ العدد الاول من مجلة «الفكر» هو فى الواقع اجتناب التمذهب المطلـق ، المنغلق على نفسه انه أولا تبين جملة من المبادىء وأقيم تعطى الحياة الفردية والجماعية معنى وهو ثانيا دعوة متواصلة للاجتهاد الجسور ، والتفكير الفاتح ، وايثار العقل « العاقل » على العقل « المعقول » ، بل انظر الى أغلبية المذاهب الفلسفية والادبية فى الماضى والحاضر كيف تتصلب ويجف مـاء الحياة فيها فتذوى وتموت بعد نوبات عصبية تبلغ فيها حمى التعصب او برودة الاحتضار درجات قصوى .

3) لذا لم نزل ولن نزال نتوسم الخير في الشباب ونفسح المجال امامهم ، لانهم النسغ النابض والطاقة المتجددة ، والحياة المتدفقة والقوة الـواقعية من داء التحجر ومغبة التعصب وكارثة التحنط ، ولان الحوار معهم هو الضمان الاكبر لترابط الاجيال وتفاهمها وتمتين صلة الرحم بين عناصر الامة الواحدة في سعيها العنود الى الوجود الاكمل وتعزيز التواصل والاستيحاء المتبادل بين الماضي والحاضر والمستقبل .

وليس المقصود بالشباب الشبان وصغار السن وحدهم ، بل الشباب هو حالة نفسية واستعداد فكرى وحيوية قد تجدها في الكهل وحتى في الشيخ وتفتقدها في بعض المراهقين الذين انبروا يلوكون شعارات اعتقـدوها ـ مـا دامت «عقولهم في اذانهم» ـ الحق المطلق ، ويدعون الى بعض الافكار ظنوها ـ في غباوتهم ـ الخير المجرد او الواقع الذى «لا يختلف فيه اثنان» .

فالشباب حده وماهيته ـ كما قد يقال ـ الشوق الى المعرفة والطموح الى مخبئات المجهول والتجاسر على مغلقات الكون والاخذ بالشك المنهاجي كطريق الى المعرفة التي تتطور بدورها وتضطر العقل الشاب والفكر الحي الى اعادة النظر والملاءمة من جديد بين الرأى والواقع والسيطرة على الكون والتأثيـر فيه ليكون الانسان بذلك خليفة الله في الارض .

لذلك لا نزال نحرص على التواضع الشديد ازاء انتاج الشباب ، ننتظـر منهم الكثير ونقدر فيهم الطاقات الكامنة وتتراءى لنا من بينهم النجوم التي ستتألق في سماء الادب والثقافة ببلادنا فنشعر باننا قمنا بالواجب ووفينا بالغرض اذا نحن أخذنا بايديهم وساعدناهم في خطـواتهم الاولى ويغمـرنـا الاعتزاز والفخر اذا هم قلقوا من معتقداتنا وحملونا على مزيد التفكير ومجدد الاجتهاد واعادة النظر فيما اعتقدناه حقا وخيرا وجمالا ، نقوم بكل ذلك على اساس المحبة لكن من دون محاباة او مركبات ، ديدننا خدمة الثقافة والادب بهذه الديار .

وليس يعنى ذلك ـ وهل انا في حاجة الى تأكيده ؟ ـ ان انتاج الشباب مقبول وواجب التشجيع لمجرد كونه من انتاج الشباب ؟ لا ، طبعا اننا دائما نحاول ان نتعرف الى ملكات الشباب ومواهبهم واستعـدادهم الى التحسـن والتكوين والنظر الى انتاجهم لا في حد ذاته بل بوصفه مبشرا ـ أو غير مبشر ـ بما هو خير وارقى واعمق ، واعتقد اننا وفقنا في ذلك الى حد كبير .

4) العمل على اساس الهواية ولوجه الله ، لانا نعتبر مجلة «الفكر» مجلة مناضلة ، ومضطلعة برسالة فى تونس الجديدة ، يلتف حولها وينتسب اليها ويشارك فيها بالكتابة او الارشاد والتوجيه كل من يؤمن بقداسة الحرف وبعد اثره فى المجتمع ، وكل من يؤمن بنفسه ويعطى لحياته معنى ولنشاطه هدفا ، وكل من يؤمن بأن الخلق الادبى والمخاض الفنى ليسا من الاعمال التى تقاس بالمادة أو تكافأ بالمال .

إن تجربة الخلق الادبى الاصيلة عفوية ، تلقائية لا تفتقر الى الوازع الذى ليس من جنسها او الملوث لطهارتها .

والادب نضال من اجل المبدأ ، من أجل الحق ، والخير والجمال والرفعة الانسانية ، ومناخه الطبيعي الحرية ، فاذا اصبح الاديب يكتب ليعيش ويوفر قوته فمن ذا الذى يضمن له الحرية والكرامة فاصالة الانتاج وسلامة التجربة !؟ .

تلك اهم اسس الخطة التى لا تزال مجلة «الفكر» تسير بمقتضاها .

اتجاه مزالى نحو وسيلة الاتصال :

وليس من شك ان اتجاه الكاتب نحو وسائل الاتصال بالجماهير يؤثر تأثيرا كبيرا فى نجاح الرسالة الاتصالية من اجل ذلك يقول احد علماء الاتصال : ان «الرسالة هي الوسيلة» ، ولقد ذهبنا فى دراساتنا للاعلام (1) والاتصال بالجماهير الى ان الوظائف الاعلامية هي التى خلقت وسائل الاتصال وقد ينظر الى وسائل الاتصال على أنها تمثل مظاهر ثورة ، بيد أنها تمثل بالفعل ثورة فى فنون التحرير الاعلامي والادبى الذى يقوم على نشر الفكر والادب .

من أجل ذلك ذهبنا الى ضرورة دراسة وسائل الاتصال فى اطار الدراسة الاعلامية للادب، ذلك انها تمثل البلاغة الجديدة التى تجعل «الرسالة الابداعية» فى التفسير الاعلامي للادب هى «فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع والحال والجنس الاعلامي على حاجة القارىء او المتلقى» .. فالتحرير الادبى والفكرى فى كل وسيلة من وسائل الاتصال تتميز بطبيعة جنسها الاعلامي الذى ينحو بدوره نحو اختيار لغته وأسلوبه وبلاغته .. ان طبيعة الجنس الاعلامي أو

---

(1) د. عبد العزيز شرف : المدخل الى وسائل الاعلام ـ بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ، فن التحرير الاعلامي ـ القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص 42.

الاتصال هى التى تحدد طريقة وضع الفكر فى رموز تتفق وخصائص الوسيلة الاعلامية او الاتصالية التى ترتبط بدورها بقدرات المتلقى وقدرات المصدر فى آن واحد ٠

ولقد ارتبط أدب مزالى بالاتصال الطباعى ارتباطا وثيقا ، ذلك أنه ابن الحضارة الطباعية والمعبر عنها فى الادب العربى الحديث ، ولذلك يرفض مزالى ما يذهب اليه بعض الناس من ان عهد الكتاب ولى وانقضى فى هذا النصف الثانى من القرن العشرين حيث طغت الوسائل السمعية البصرية على سائر أساليب المعرفة والتبليغ الاخرى واستبدت السرعة بحياة الانسان العصرى فاصبح لا يكاد يجد متسعا من الوقت ليتغذى من الكتاب وهو وعاء «ملء» علما واناء شحن مزاحا وجدا «كما يقول الجاحظ» ٠

ويؤكد مزالى : «ان الكتاب ـ رغم منافسة الاذاعة والتلفزة والاسطوانة ـ لا تزال سوقه نافقة وصناعته مزدهرة رابحة ولا يزال الاقبال عليه متزايدا مطردا ، ناهيك أن 500،000 كتاب جديد ينشر فى العالم كل سنة وان ثمانية مليارات من النسخ تطبع فى كل عام ، الى جانب الجرائد المجلات بكل انواعها بل ان مستوى الامم اصبح يقاس ـ فيما يقاس به ـ بالنسبة الموجودة بين عدد سكانها وأهمية الاعتمادات المرصودة للمكتبات ٠

ذلك ان الكتاب كما يقول مزالى هو الغذاء الضرورى وأداة التثقف والرقى العقلى والروحى لجميع البشر منذ أن انتشر التعليم ولم تعد الثقافة حكرا وامتيازا ومحظوظية لطبقة دون طبقة وبلاد دون أخرى ، واقتضت الديمقراطية أن تتقارب حظوظ الناس من المعرفة وتتكافأ فرص النجاح والتفوق بينهم جميعا ٠

« فليس من باب الصدفة اذن ان قرر المؤتمر العام لمنظمة الينسكو ـ فى دورته السادسة عشرة ـ ان يكون عام 1972 «السنة العالمية للكتاب» وأن تشرع معظم الامم منذ مطلع هذا العام فى العمل الايجابى بمقتضى التوصيات الصادرة عن هذه المنظمة الدولية ومختلف اللجان والهيآت الفنية التابعة لها، وان تتعاون مع الينسكو الاتحادات الدولية لجمعيات المؤلفين والموسيقيين والناشرين وباعة الكتب ٠٠٠» ٠

الى أن يقول :

«ولعل الغرض الاول الذى يريد الجميع بلوغه انما هو تشجيع التاليف والترجمة ورعاية حقوق المؤلفين والزيادة فى انتاج الكتب واحكام توزيعها

وهذا يقتضى الحث على القراءة وتيسير الطباعة والتخفيض من اثمان الكتب ، لذلك كان شعار هذه الحملة العالمية التى تتزعمها الينسكو « كتب للجميع » .

ونحن نريد ان نلاحظ فى هذا الصدد انه اذا كان حظ العالم المتقدم من الكتب ـ تأليفا وصناعة ومطالعة ـ فى تزايد متواصل فان العالم الثالث يشكو ـ فى هذا الميدان ايضا ـ تخلفا شديدا ويستهدف الى خطر كبير .

واذا بان التخلف لكل الناس بسبب قلة القراء الناتجة عن ضعف نسبة المثقفين وكساد صناعة الطباعة وفساد مسالك التوزيع ... فان وجه الخطر كامن فى فرض هذا العالم المتقدم بضاعته الثقافية على الشعوب الضعيفة واغتنام هذه الفرصة ـ التى له فيها مسؤولية تاريخية لا تنكر ـ لتكييفها وتوجيهها الوجهة التى فيها مصلحته ودوام هيمنته وسلطانه .

وازاء هذا الواقع المر لا يسعنا الا ان نستبشر ببا الينسكو ونعلق عليها عريض الآمال لا لما ستحققه فقط من مزيد التوعية بفوائد الكتاب والتغلب على الصعوبات التى تعوقه عن النشر والتوزيع .. بل كذلك وبالخصوص لتصون ثقافات الشعوب وتأخذ بيدها كى تحقق نهضتها من دون ان تطمس طرافتها وتفقد شخصيتها وان تشجع ايضا الترجمة والاقتباس من كنوز حضارتنا الى لغات البلاد الغنية التى كثيرا ما تجهلنا او تتجاهلنا ، وانه علينا فى هذا المقام ان نقوم بجهد جبار كى نعرف بأنفسنا ونترجم آثارنا الادبية والفنية والعلمية القديمة والحديثة الى اللغات الحية الواسعة الانتشار .

لانه بذلك يوجد الحوار بين الامم وتتلاقح الثقافات ويغنم الفكر البشرى غنما كبيرا .

وعسى أن يتواصل مجهود الينسكو كامل هذا العام والاعوام القادمة لان الكتاب اصبح ضروريا للبشر ضرورة الماء والهواء ولان كل شعب محتاج فى قوامه الروحى وفى انسانيته الى معرفة خصائص الشعوب الاخرى الثقافية والروحية . طالما أن أسطورة تفاضل الثقافات قد تبددت وبان زيفها كما تبددت اسطورة تفاضل الاجناس وظهرت بشاعتها من الوجهة الاخلاقية والحضارية .

وبذلك تتضاءل العنصرية الناجمة عن التجاهل المتبادل والكبرياء والتعالى ويحل محلها التقدير والاحترام فتزداد حظوظ التفاهم والسلم والوئام بين الناس أجمعين» (2) ..

---

(2) محمد مزالى : الفكر فى أول فبراير 1972 .

وترتبط «مجلة الفكر» كوسيلة اتصالية باسم محمد مزالى ، **وهى توضح فى سيرتها العريقة الاتجاه الايجابى فى رؤياه الابداعية نحو الاتصال الطباعى،** بعامة ، والمجلات الادبية بخاصة ، ذلك ان هذه المجلة التزمت منذ صدورها عام 1955 شعار «الادب رسالة لا مهنة» فاستطاعت بهذا المفهوم ان تقوم بدورها كاملا . **وان تؤدى واجبها غير منقوص نحو الادب التونسى والادب العربى عامة .**

واذا كان الاتجاه نحو الذات يؤثر على السلوك الاتصالى ، فان اتجاه مزالى نحو موضوعه يرتبط باتجاهه نحو ذاته ارتباطا وثيقا ، ذلك ان الاتجاه يقوم عليه الرأى او الاعتقاد المتعلق بموضوع معين ، من حيث القبول او الرفض ، ودرجة هذا القبول او الرفض ، الامر الذى يؤثر تأثيرا توجيهيا نحو الموضوعات أو المواقف المتعلقة بهذا الاستعداد العقلى أو العصبى .

وحول علاقة الاديب بموضوعه او «رسالته» بوجه عام كتب اكثر ما كتب فى النقد الحديث . فلقد حاول النقاد ان يعرفوا الكثير عن النص الادبى بواسطة ما يمكن ان يعرفوه عن مبدعه ، ومن أجل ذلك ننظر للاديب على أنه كائن اجتماعى ، تعود منذ الصغر على الاتصال بالآخرين ، الامر الذى يكيف تجاربه ـ كما رأينا مزالى ـ الى درجة لا ندرك مداها ، ذلك انه اكتسب من أبويه ومن الآخرين المحيطين به الكثير من طرائق التفكير والشعور ، وصار له اطلاع واسع على الادبين العربى والفرنسى ، فقد تفتحت عيناه على بيت أدبى ، وعلى مكتبة زاخرة بكثير من الكتب التى تستهوى طالبا تميل طبيعته الى القراءة .. فلم يكن عجيبا اذن ان يبدأ مزالى كتابته وهو طالب بالمدرسة الثانوية فى الصادقية ، **وان يصدر** مجلة آ الفكر » سنة 1955 م وهو فى الثلاثين من عمره ، واصدر العديد من المؤلفات مثل : **الديمقراطية** 1955 ، **وتاريخ افريقيا الشمالية** فى جزأين ترجمة عن ش. أ. جوليان بمعية الاستاذ البشير بن سلامة 1968 ، **ومن وحى الفكر** 1909 ـ تعريب **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى** عن ش. أ. جوليان بمعية الاستاذ البشير بن سلامه 1971 و **مواقف** 1973 و **دراسات** 1974 ـ و **وجهات نظر** 1975 .. وغيرها من الكتب والدراسات ..

(يتبع)

د. عبد العزيز شرف

(القاهرة)

تونس الحبّ .. تونس الياسمين

شعر : الحبيب بن فضيله

أتونسُ نامِي علَى صَدْرِ حُبِّي ... وأصغي إلى دقّ قلبي قليلا
فقد أثقلتهُ الحروبُ كثيرا ... ولولا غرامك صار عليلا
فمنك تفوح الروائح مسكا ... فتُحيي فؤادي وتغدو دليلا
لكي لا أضلّ الطريق إليك ... فبالياسمين أنرت السبيلا
وكيف السّبيلُ إلى العش لولا ... غرام الحمام يفوح هديلا ؟
أحبك جدا فكيف يريدو ... ن أن لا يفوحَ الغرام طويلا
أراني أحبّك جدّا وجدّا ... لهذا غدوت عليك نزيلا
ومهما فعلت ومهما هجرتِ ... يظلّ عذاب المحبّ جميلا
فلا تغضبي من كلامي وشعري ... إذا ما قسوتُ عليكِ قليلا

* * *

ايا تونس الحبّ أهلا بحبّ ... سرى في عروقي دما سلسبيلا
فحبّ الغواني متى كان سهلا ... اذا لم يكن شافيا لي غليلا
وحبّك عندي نسيم وعطرٌ ... ووجه صبوح يظلّ جَميلا
اذا ما شرحتُ لكِ القلبَ يوما ... ترين دمائي تَفُورُ صهيلا
تفرّع ذاك الغرام كثيرا ... فليس لحبك عندي بديلا

ذكرى "الفكر" ومجالسها الأدبية

بقلم : البشير الزريبي

ثلاثون سنة وهى بك ومنك للبلاد والعباد خير عماد .. إن الثلاثين وقد بلغتها أحوجت العواطف الى الترجمان ٠٠ مضت ثلاثون على انطلاقتك الاولى ، الا أنك على مر الشهور التى خلت ، وعند أوائلها ، تطلين على الوجود عتيدة فى عزمك ، مجيدة فى قصدك ، تعكس فى مجلدك المتطور على الايام جهـود المناضلين بتحرير المقالات ، والمحاولات الشعـرية ، والدراسـات النقـدية والحضارية بكل أمانة ، وتحيي الحوار حول قضايا مصيرية تهم الوطن والامة الفتية ، وتسهم اسهاما ملتزما وموجها فى بلورة الشعور بتلك القضايا فى خلد أهل الرأى وحملة الاقلام عليهم يسهمون من حيث يشعرون أو لا يشعرون فى اتخاذ القرار .. فمساهماتهم وأفكارهم واجتهاداتهم التى بنشرها وذيوعها تتلاقح القوى المفكرة والمدبرة والمسيرة بالاضافة الى قيام معانى الثقة بالذات فى مقابلة الذات الجماعية وما تتطلبه هذه من الجميع من احساس وعطاء ، بها جميعا تتولد الحركة الهادفة والسعى الجماعى الغائى والرامى الى مقاصد مثلى ومصير أفضل ٠

كان مطلع مجلة « الفكـر » متزامنا مع فجر الاستقلال ، ومع ما استبـد بدخيلة باعثها الاول من غيرة وشعور بالمسؤولية تجاه الطور الجديـد الذى آل اليه الكفاح القومى بعد ظفره بالحركة التى هى قيد وتقيد ، حق وواجب ، الزام والتزام ، مسؤولية وجزاء حتى تكون خيرا وبركة وضمانا فى النفع بها والانتفاع منها على جميع المستويات ٠ فلا عجب اذن ان هى استقطبت منذ البداية ثلة من الباذلين فى الحقل الادبى والاجتماعى ٠٠ وجمعتهم فى منتداها الاسبوعى الحافل بالمباحث والنقد والمدارسة للمواضيع التى تشغـل بـال الخـاصـة والعامة ، وتهم الحياة فى شتى دروبها ومختلف شعابها ... وانها لأمسيـات موصولة بالسهر على بحث القضايا ، وبحث البحوث التى أعدها المهتمون من

ذوي الاختصاص . فكانت مجالس ثرية وفكهة فى آن واحـد ، تثـار فيهـا المسائل اللغوية ، وتعالج بها المحاولات الجاهزة ، وتتقاسم فيها المهام ، والكل شاعر بأنه لبنة فى بناء هيكلي متكامل يعمل لوجه الله والوطن ، ويسـاهم مساهمة اخوان الصفاء وخلان الوفاء فى مناصرة مشروع لا بد منه لتونس فى مطلع استقلالها ، ولا محيد عنه للمثقف التونسي وقد امتدت أمامه الآفاق ، واضحى يرنو الى قيام حركة أدبية تواكب المسيرة السياسية ان لم تكـن من أسبابها ونتائجها .

كانت لنا أيام فى منتدى مجلة « الفكر » بمقر جمعية قدماء الصـادقية ، الذى هو نفسه كان مقر « الشيبة المدرسية » فى الاربعينات (I) ، ولقد كان التحدي فى مقابلة الصعوبات والازمات ، وكانت الاسرة فى لقائها الاسبوعى تخطط للمستقبل ، وتتبادل الرأى فى الاوضاع الآنية والمستقبلية ضمن إطار المشاركة الوجدانية الهادفة فى خير سبيل ، والقاضية بالتضحية والمشاركة أيا كان لونها وأمدها والجهد الذى تستدعيه ، هكذا اقتداء بواضع المشروع الذى يشرك أعضاده فى قراءة بريد المجلة الداخلي والخارجي ، ويشرك الجميع فى نقد الاثر وتقييمه ، ويشرك صاحب الاستعداد فيما هو أهـل لـه ، من الاضطلاع بالمهمة التى يتعين اسنادها اليه داخل البلاد أو خارجها . وان القرار لا يملى من فوق دائما وانما يصعد الى فوق أو الى الساهر على مسيرة المجلـة المعنى بكل جزئية وكلية تخصها ، حرصا منه على النجاح فى شق الطريق ، أنى كانت السلبيات والمعيقات التى تعترض فى الشأن كـل مستجـد فى المجـال الريـادى .

حقا بهذه الروح الخلاقة كانت الجدوى فى لم المتناثر من المواهب ، وجمـع الملتزم الى غيره ، والملائمة بين نصير المحافظة والاصالة ، وبين مدعى الثورية و « التجديد » ، والتوفيق بين نخبة مخضرمة وأخرى فتية ناشئـة ، وبين محبذ « للعمـودى » ، ومنتصر « للحـر » ، وبين أحباء الفصحاء وأنصار العامية ، وبين الفيزيائى وعالم الاجتماع ، وبين المهيب الحاد الطبع ، والفكـه بالعبـارة والاشـارة ، وبيـن المـؤرخ والاديـب والفيلسـوف والجغـرافى والاقتصادى ... فكان فى ظل هذا التوفيق بل الصدى واصابة المرمى ، ذلك

(I) كنا من المشتركين فى أنشطتها مع ثلة من الزيتونيين ، والصادقيين .

التوفيق الذى لايتأتى الا لمن أوتي فضلا كبيرا ، وصبرا جميلا ، ورؤية بعيدة ، وايمانا راسخا بمبادىء قارة وأهداف غالية .

ثم فى ظل ذلك التوفيق بين من يجمع بينهم الولوع بالادب وهمومه وفنونه ، وبعد نضال مستميت ووقوف مشرف أمام القعدة والناكصين على الأعقاب شقت الفكر طريقها وبنت هرمها الشامخ المتعالى فى جواء سماء المعرفة والادب وفنونه الى أن بلغ فى بعده الزمنى ثلاثين حجة ، بيد أن المكاسب أبعد من ذلك وأعظم وهى لا تحصى بالسنين فقط ، وانما بالجدوى . فالمواهب التى اينعت فى دروب الفكر لا تثمن بحال ، وهى كثر بكل مجالات الانتاج والخلق ، والمشارب والمسالك التى كتب لها البقاء وكثر لها النصير هنا وهناك لعديدة ، والمبتدئون ، كثير منهم من أصبح على قيمة روحية فى تجربته ان لم نقل على نهج أتبعه غيره واقتدت به فيه ناشئة صاعدة حتى كتب له البقاء والاستمرار على الايام . وان هذا الارث الحضارى الذى يكمن ضمن ثلاثمائة عدد من المجلة المجيدة لمعتبر فى الحال والاستقبال سجلا مرجعيا لاى باحث قريب أو بعيد ومن شتى أنواع الاختصاص ، هذا والرصيد لأعظم مما نشر وان الذى لم ينشر وكتب للمجلة ابتداء ، فى عداد مكاسبها الادبية ولأصحابه فيه دربة ومران مجد ، وبالتالى فهو فى عداد مكاسبها الادبية ما دامت هى الحافز عليه والموحية به الى كاتبه ، وإنه الى هذا وذاك تذكر مكاسب القراء على اختلاف نحلهم ومستوياتهم واعمارهم وانتفاعهم بما طالعوه واستناروا به واقتفوا أثره بالمحاكاة والابداع ، سواء منهم قراء العرب والأعاجم ، الامر الذى به كانت المجلة أداة أخذ وعطاء ، ووسيلة وصل وتواصل ، ومرآة فى الداخل وبالخارج لما جد واستجد من آثار المهج ، والقرائح والمواهب والجهود فى معالجة المواضيع والقضايا الوطنية والقومية والانسانية.

ومع هذا كله يمكن اعتبار وحي الفكر مستمرا مع الايام والاجيال القادمة، تتخذه الاوساط الاكاديمية وغيرها وثيقة دالة على التغير الاجتماعى والاتجاه الاديلوجى بأوساطنا الوطنية والشمال افريقية والعربية ، ودالة على تطور المواهب وتلاحق الافكار ومجالات التأثر والتأثير الحضارى بين شتى الاوساط وبهذا المعنى كان ويكون « الفكر » ذا رسالة خالدة ، لا يطويها الزمن ولا ينساها الموجود الكادح فى تعقب أحداث ماضيه لفهم بناء حاضره وركيزة مستقبله الذى ينشده لنفسه وموطنه وأمته جمعاء .

فتبارك هذا البناء الذى بجهد واجتهاد بناته كان ، وبدونه ما كانوا ليكونوا ، وبارك الله فى سعي باعثه وأعوانه ليتواصل نفسه المعطاء ، وإن

المدرسة لشامخة فى شمم بخريجيها وأنصارها سواء منهم من قضى نحبه من أمثال : محمد الفاضل بن عاشور ، ومحمد الحليوى ، وزين العابدين السنوسى ، وأحمد المختار الوزير ، ومحمد الهادى العامرى ، وعلي البلهوان ، ومصطفى خريف ، وفريد غازى ، والبشير خريف ، وأحمد خير الدين ، ومفدي زكريا ، وحسن الزمرلى ، والامين الشابى ، والطيب الشريف ، والطيب العنابى ، ومحمد المرزوقى ، والهادى العبيدى .. ومنهم من ينتظر ممن كان للحق والخير والمجد هادفا وساعيا ، وكتب له الذكر الباقى والمقام الراقى ...

فكل سنة و « الفكر » بخير وأشياعه وأتباعه على درب دؤوب وروح مؤثر .. وما زالت بها الايام تترى بكل غنم مرتقب ، وما فتىء كل ذى أصالة صادقة يكن لها ولأسرها المتعاقبة كل التقدير والحب .

البشير الزريبى

تونس الحُبّ.. تونس اليَاسمين..

شعر: سمير الخياري

أكابد في حبِّكِ المستحيلاَ   ولمَّا أجدْ لهواك المثيلاَ
أتيتُ أجربُ فيكِ جنوني   فكنتُ على راحتيك القتيلاَ
أحبُّكِ تونسُ حبّ التفاني   وإنّي لأشتاقُ فيك الرّحيلاَ
لأصبحَ فوقَ روابيكِ زهواً   وأصبحَ في شفتيك الهديلاَ
فإني تعبتُ بأحزانِ عصري   وأبتَ قلبي شَجى وعويلاَ
وأعراس حلمي تهاوتْ جميعا   وفرّ الضِّيا .. والخليل استُميلاَ
وكلّ الموازين راحتْ هباء   ومن قال : أهواكِ . صار عميلا
فررتُ إليكِ فلا تطرديني   ففي مقلتيكِ وجدتُ السَّبيلاَ
وقلبي تجذّرَ في ناهديكِ   أزَيتونةَ رَفَضتْ أن تميلاِ
وإنّي أحبّكِ .. إنّي أحبّكِ ..   حتّى النّهاية لن أستقيلاَ

* * *

أحبّك تونسُ .. ماذا أقول   إذا كنت أنتِ الكلامَ الجميلاَ؟
وماذا أضيف وأنت القوافي   تناغت فأحيت فؤادي الكليلاَ ؟
جمعتِ الكلام على شفتيكِ   ولم تتركي للمحبّ قليلاَ
إذا ما ركبتُ الشعور إليكِ   تداعى لساني وخَرّ ثقيلاَ
ولكنْ يزولُ وجومي فأشدو   ويسهلُ ما قد بدا مستحيلاَ
فأحياكِ لوحةَ شعر مُقَفًّى   لأنّي كرهتُ الكلاَمَ الدّخيلاَ
أصيلٌ بحبِّي .. أصيلٌ بشعري   فهل ترفضينَ المحبّ الأصيلا ؟

مجلة «الفكر» وأثرها في الأدب التونسي والفكر العربي

بقلم . د . صلاح عدس
(مصر)

إن مجلة «الفكر» هى المرآة التى عكست بصدق الصورة الحقيقية للفكر والادب فى تونس طوال ثلاثين عاما .. وهذا الفكر التونسى الاصيل يدور حول ثلاثة محاور هى : الوطن واللغة العربية والدين ، أى أنه فكر عربى اسلامى استطاع أن يبلوره الاستاذ محمد مزالى فى كتاباته بهذه المجلة والتى كانت نواة لمؤلفاته .. كما عبر عنه أيضا الاستاذ البشير بن سلامه ...

وهكذا كانت وما زالت مجلة « الفكر » تجسيدا للفكر التونسى المخلص الذى يبغى تقدم تونس والعالم العربى واقامة حضارة عربية اسلامية جديدة لا أن نظل مجرد كم مهمل نكتفى بالاستهلاك المادى والحضارى ونكتفى باستيراد أجهزة الغرب وأفكاره وسلعه واهمين أننا بذلك نبنى حضارة وفى الحقيقة أن ذلك الاستيراد والاستهلاك هو مجرد تكديس لمنتجات حضارة أخرى وليس بناء حضاريا لان البناء الحضارى يستلزم البدء ببناء الانسان حضاريا من الداخل بواسطة الدين والثقافة ... وذلك على حد تعبير المفكر الجزائرى « مالك بن نبى » .. وليس معنى ذلك ألا نستفيد من الغرب الذى يملك العلم ولكن ليس بالعلم فقط نبنى حضارتنا والا وقعنا فى الطريق المسدود الذى انتهى بالغرب الى شبح الحرب الذرية وهذا ما أكده الاستاذ البشير بن سلامه فى مقالاته بمجلة « الفكر » .. وهنا يطرح الاستاذ محمد مزالى الحل الحضارى لأزمة تونس وبلاد العرب والمسلمين بل وأزمة العالم الغربى الذى وقع فى هوة المادية وذلك من خلال شرحه لفكرة التونسة وفكرة حوار الحضارات .. أما فكرة التونسة التى طرحها بمجلة « الفكر » وفى كل مؤلفاته فيعنى بها مناهضة الفرنسة التى أرادت خلع الشعب التونسى من أصوله وجذوره ، وبذلك فان التونسة تعنى تثبيت هذه الاصول بالجذور

العربية الاسلامية ، ومن هنا جاء تشجيع مجلة « الفكر » لنشر الانتاج الادبي التونسي كوسيلة للنهوض باللغة العربية التى عانت الكثير بين أبناء تونس والمغرب العربي بوجه عام .. أما فكرة حوار الحضارات فقد نادى بها الاستاذ محمد مزالي قبل المفكر « جارودى » بسنوات طويلة لان جارودى كتب كتابا بهذا العنوان عام 1977 بينما يدعو مفكرنا الى حوار الحضارات منذ مقالاته الاولى بمجلة « الفكر » ومنذ مؤلفاته الاولى بداية من « الديمقراطية » عام 1955 ثم من « وحي الفكر » عام 1968 ثم « وجهات نظر » عام 1975 حتى «دروب الفكر» عام 1979 ٠٠ ولكننا قد تعودنا أن لا نصفق للفكرة الا اذا جاءتنا من الغرب والا اذا كانت مكتوبة بلغة أوربية ... وإن خلاصة ما ردده فى مجلة « الفكر » الاستاذ محمد مزالي ، عن حوار الحضارات هو أنه اذا كانت أوربا تملك العلم فنحن نملك الدين ويمكن بهما معا اقامة حضارة عربية اسلامية جديدة، العالم فى أشد الحاجة اليها الآن٠٠ولذلك يجب أن لا نظل عالة على الغرب نجتر فتات المائدة الفكرية الاوربية ونكتفى بالحلول الجاهزة المستوردة وانما نعطى للعالم مثلما نأخذ ، ولذلك حرص الاستاذ محمد مزالي على تشجيع وابراز الادب التونسي على صفحات مجلة « الفكر » لانه بمثابة العطاء الحضاري لتونس ..

كما يرى مفكرنا أيضا أن إحياء الحضارة الاسلامية وقيمها الروحية هو الحل ليس فقط لمشكلاتنا فى تونس أو العالم العربي الاسلامي وانما للعالم ككل بما فيه الغرب الذى تنهار حضارته الآن تحت وطأة المادية والعلم الذى انتهى الى تهديد العالم بالفناء الذرى ، ولذلك يشبه «جارودى» هذا العلم وهذه التكنولوجيا الضخمة بأنها مثل عملاق فى يد قزم ، ونحن نقول إنه علم بلا دين أى علم بلا أخلاقيات وهذا هو ما حدث تماما فى الحضارات القديمة التى انهارت أيام ثمود وعاد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد كما تحدثنا بذلك سورة الفجر فى القرآن الكريم لانها كلها كانت حضارات بلا اخلاقيات او ضمير وما عرفت غير الفن فقط فبرعوا فى بناء الاهرامات والمعابد والقصور المنحوتة في الجبال ، تماما مثل الحضارة الغربية الآن التى لا تعرف الا العلم فقط بلا ضمير أو أخلاقيات اللهم الا أخلاق «المنفعة» عند «نبتام» وأخلاق «الفائدة العملية» عند براجماتية «وليم جيمس» ٠٠ حتى أن الشاعر «ن٠س٠ إليوت» وصف أوربا بأنها «الارض الخراب» ووصف أهلها بأنهم «الرجال المجوفون» واتخذ من هاتين العبارتين عنوانا لأشهر قصيدتين له .. كما يقول « سارتر » أيضا فى كتابه

« ما الأدب » : « إن أوربا هى الرجل المريض » .. بل إن « شبنجلر » قد ألف كتابا كاملا عنوانه « سقوط الغرب » .. كما نجد « أرنولد توينبى » فى كتابه « دراسة التاريخ » يقول : « إن حال العالم الغربى الآن يشبه حال الدولة الرومانية فى إبان نهايتها كما وصفها « جيبون » فى كتابه « سقوط الامبراطورية الرومانية » .. ويقول « أرنولد توينبى » : إن التاريخ يسير فى شكل لولبى أى على هيئة قفزات لا على شكل دائرة بحيث يكرر نفسه وإنما يسير حتى نقطة معينة عندها تحدث قفزة حضارية وإن العالم الآن بحاجة الى ديانة تنقذه مثلما فعلت المسيحية فى نهاية الدولة الرومانية .. وهنا يضيف **«كولن ويلسون» فى كتابه «اللامنتمى» وفى كتابه « الجنس والشباب** المثقف » : إن المسيحية لم تعد قادرة على أداء هذا الدور وإن العالم الآن بحاجة **الى ديانة أخرى · ونحن نقول هنا تظهر أهمية الاسلام الآن ليكون الدين هو** الضمير الذى يوجه العلم الى الخير وهذا هو دور العالم العربى والاسلامى لبناء حضارة جديدة يدعو لها ويخطط أسسها الاستاذ محمد مزالى حين **يقول : إن التنمية الاقتصادية وحدها لا تكفى بل لا بد من التنمية الروحية أى لا بد من بناء الانسان قبل بناء المصانع ، وذلك على عكس ما هو شائع فى دولنا النامية لانه « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ..**

فالدين **والفكر** والثقافة تنمى فى الانسان مشاعر الجمال والخير وبدونهما يتحول الانسان الى حيوان مدمر ، وهذا الحيوان المدمر هو الذى دمر مبنى منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس بأحدث أساليب العلم والتكنلوجيا الغربية لانه علم بلا ضمير وتكنلوجيا بلا أخلاق .. ومن الامثلة الدالة على ذلك أيضا ما سمعناه عن انهيار بعض العمارات الحديثة فى احدى العواصم العربية **فالعمارة بناء مادى والمهندس الذى يغش فى بنائها انما يطبق العلم فى غيبة من** الضمير إنه إنسان منهار من الداخل ليس لديه مشاعر الجمال والخير ولذلك فان العمارة تنهار وكذلك كل ما نشيده من بناءات مادية يمكن أن ينهار اذا لم يسانده بناء روحى وفكرى داخل الانسان العربى يجعله يشعر بالانتماء ويشعر بأحاسيس الخير والجمال .. وهنا تظهر أهمية الدين والادب والثقافة ، وهذا كله ما أوضحه الاستاذ محمد مزالى والاستاذ البشير بن سلامه فى كتبهما وقبل ذلك فى مقالاتهما بمجلة « الفكر » فهما يشتركان معا فى النظرة **التكاملية لقضايانا واعنى بالتكاملية نقيض الاحادية والفقطية التى يعانى منها** الفكر الاسلامى منذ الخلافات القديمة لعلماء الكلام وفرق الشيعة والخوارج **والاشاعرة والمعتزلة واعتقاد كل فريق أنه هو فقط الصحيح مما جر على عالمنا**

العربى والاسلامى الويلات حتى الآن .. ومن هنا جاءت النظرة التكاملية كحل لهذه التناقضات .. ففكرة التونسة مثلا تعنى الأصالة والمعاصرة معا من أجل خلق فكر تونسى جديد وهنا تتضح التكاملية التى نراهـا تتضح أيضا فى فكرة حوار الحضارات لانها تجمع العلم والدين معا من أجل خلق حضارة عربية اسلامية جديدة ٠٠ فنحن اذا كنا نعانى فى العالم العربى من أزمة فكـر فان العالم الغربى يعانى من فكر الازمة وفرق كبير بين هذا وذاك .. أمـا فكـر الأزمة فهو الانتاج الفكرى الذى يعكس الاحساس بالأزمة الحضارية لانهيـار الغرب والذى تجلى بعد الحرب العالمية الاولى وما تبعها من انهيـار فى القيـم وبالتالى قيم الشكل الفنى فظهرت موجات اللامعقول فى المسرح والسيريالية فى الرسم واللارواية فى الادب والوجودية فى الفلسفة فكل هذا هو ما اسميه بفكر الأزمة لانه يعكس اليأس والتشاؤم والاحباط، والعبث أى يعكس أزمـة الحضارة الغربية التى أفلست والتى تنهار على حد تعبير جارودى ٠٠

أما فى بلادنا العربية فنحن نعانى من أزمة فكر أى نعانى من الحيرة والتخبط وعدم وجود فكر واضح، أى فقدان الفكر وفقدان الهدف وفقدان الحل باستثناء بعض المحاولات الفردية التى قام بها بعض المفكرين فى بلادنا مثل الافغانى وخير الدين التونسى ومحمد عبده والكواكبى وشكيب أرسلان وغيرهم منذ نهاية القرن التاسع عشر ثم أخيرا الاستاذ محمد مزالى والاستاذ البشير بن سلامه فى محاولتهما تخطى ما نعانيه من أزمة فكر باحيـاء الفكـر العـربى الاسلامى والبحث عن حل والبحث عن هدف أى التخطيط لمشروع حضارى جديد من أجل مستقبل تونس والامة العربية الاسلامية فى ظل وحدة لها مفهوم تكاملى جديد لا المفهوم الاحادى القديم الذى تفرض فيه دولة واحدة أو زعيم واحد سيطرته على الكل وانما على حد تعبير الاستاذ البشير بن سلامه نكون « أمما فى أمة لا أمة فى أمم » وهذا المفهوم الجديد للوحدة وللحضارة قد تردد من خلال مجلة « الفكر » التى اهتمت أيضا بنشر الادب والانتاج الفكرى فى تونس حتى أنها قد أبرزت وشجعت جيـلا كامـلا من الشعراء والقصاصين والنقاد الذين لا يحجبهم عن العالمية سوى حاجز اللغة ، فاللغة العربية للاسف ليست لغة «عالمية» لانها لغة المغلوب على حد تعبير «ابن خلدون» بينما يخبرنا ابن حزم أن اللغة العربية فى أيامه كان يسعى شباب الاندلس لتعلمها كدليل على التحضر والرقى لانها كانت آنذاك تمثل حضارة الغالب .. ولـذلك فان مجلة «الفكر» تحاول بتشجيعها للانتاج الادبى العربى استعادة مجد اللغـة العربية باستعادة حضارة العرب ولن يكون ذلك الا بتخطى التحديـات التى

تواجه أمتنا مثل وجود الفقر والجهل والمرض واسرائيل والعقد الفكرية المترسبة منذ عصور التخلف التركى المملوكى والاحتلال الغربى .. وهذه التحديات الاقتصادية والسياسية والفكرية قد حللها لنا مؤسس مجلة «الفكر» على صفحاتها ثم فى مؤلفاته ..

ومما يذكر لمجلة « الفكر » أنها لم تحجر على فكر دون آخر ولم تفرض على القراء فكرا معينا وانما آمنت بالانفتاح الفكرى وشجعت كل الآراء وكل انتاج أدبى بشرط الجودة وهذا ما أعلنه وطبقه بالفعل الاستاذ محمد مزالى لان فكره وسلوكه وحدة متناسقة لا يسب بعضها بعضا ولا يتعارك أو يتناقض أحدهما مع الآخر .. وربما كان سبب ذلك أيضا هو أن تونس بطبيعتها هى بلد التسامح والانفتاح الفكرى والحضارى ففيها تلاقت الحضارات الفينيقية والرومانية والاسلامية ...

واذا كانت الدعامة الاستقطابية التى تجمع حولها الطاقات الخلاقة فتبلورها وتبرزها الى القراء هى المجلات فان الاستاذ البشير بن سلامه يشرح لنا ذلك فى كتابه « قضايا » ويبين لنا أنه فى الثلاثينات ظهر الشابى وسعيد أبو بكر والحليوى وكانت الدعامة الاستقطابية آنذاك هى مجلة « العالم الادبى » أما الاربعينات فظهر فيها أدب الدوعاجى والمسعدى وكانت مجلة « المباحث » هى الدعامة لهما أما فى الخمسينات وحتى الآن فان مجلة « الفكر » هى الدعامة لكل الادباء التونسيين المعاصرين مثل : البشير خريف ومصطفى خريف والميدانى بن صالح والدكتور نور الدين صمود والصادق شرف ويوسف ورزوقه ورشيد الذوادى والطاهر ڤيقه والعروسى المطوى ومحمد المرزوقى وعبد العزيز قاسم وأحمد المختار جنات وأبو القاسم كرو وأحمد خالد وصالح الجابرى وجعفر ماجد وعز الدين المدنى وغيرهم كثير وكثير ممن يفخر بهم الادب العربى وكان لمجلة « الفكر » أثر كبير فى تعريف العالم العربى بانتاجهم واتجاهاتهم ..

كانت هذه لمحة سريعة عن أثر مجلة « الفكر » فى الادب التونسى والفكر العربى الحديث وذلك بتنشيطها لحركة أدبية كاملة وبايجادها لفكر عربى جديد يبلور مشروع حضارة جديدة يتخطى بها عالمنا العربى والاسلامى ما يعانيه من أزمة فكر ...

د. صلاح عدس
ـ القاهرة ـ

تونس الحب .. تونس الياسمين ..

شعر: هشام المحمدي

... وأجثو على ركبتيَّ طويلاً   بأعمقِ حبَّ أكونُ الخليلاَ
تُعذبنِي الكبرياءُ وامضِي   أعانق فيكِ المدى السلسبيلاَ
وأحملُ أنقاضَ وهمي وصحوي   نبيًّا أضاعَ لديكِ الفتيلاَ ..
وأبلغ جمجمتي ومَداي   وأغزُو بحاشيتي الأرخبيلاَ ..
تُدمّرني بالصدى الرَّثّ ريحٌ   إلى أحلكِ الليل تبغي الرّحيلاَ
على شجر الشعر تأتي جزافا   فتمخر أعضاءهُ والسبيلاَ ،
سلالاتُ لغوٍ تماثيلُ قُبْحٍ   سخيّ .. عن الشعْر تنأى طويلاَ
فلا غامرت بالمدى وادْلهمّتْ   ولا أقْحَمتْ في الخليلِ خليلاَ
ولكنّها أينَعَتْ في الكَسَادِ   تدكُّ الدواخلَ دكّا جزيلاَ ..

* * *

أحبّكِ تونسَ أقْدَسَ حبّ   نَمَا في كياني نقيّا جليلاَ
وطوّقنِي بالضّياءِ الكثيفِ   وعلّمني أنْ أفيضَ الجَميلاَ
وسيّجنِي بالمدى المرّ طفلا   وأسسَ في كائناتي الأصيلاَ ..
أنا ماثِلٌ في خلايا التّراثِ   فلا تطلبِي منْ سِوايَ البَديلاَ .،
يَرَى اللهُ ذاكِرَتِي تتدلَّى   وأشهدُ فيكِ الشعورَ المثِيلاَ
وهذا دَمِي المتألّقُ يَبْقَى   ورغمَ الكوارثِ أبْقَى النبيلاَ .
أحبّكِ عَاصِفَةَ تَنْتَقِينِي   وأحلمُ أنّي أسسُ جِيلاَ .
وإن تطلبِي أقْحُوانَ الفضَاءِ   فانّي ألبِّي لكَ المستحيلاَ .
وإن تأمرِي بالرّحِيل فعنكِ   أنا سوفَ لَنْ أستطيعَ الرّحِيلاَ

الأصالة نظرية وتطبيقاً في فكر محمد مزالي

بقلم: رابح لطفي جمعة
(مصر)

● **مفكر وأديب موسوعي الفكر والثقافة :**

ليس من السهل أن يكتب الكاتب عن مفكر وأديب موسوعي الفكر والثقافة واسع الاطلاع والمعرفة كالاستاذ الكبير محمد مزالي ، فهو أحد رواد الثقافة العربية الاسلامية في عصرنا الحاضر وعلم من أعلام الفكر الذي يجمع بين احترام التراث والتفتح على الجديد في العالم العربي المعاصر ، تجاوزت شهرته الحدود التونسية وعرفه جميع المثقفين في المغرب العربي بخاصة والعالم العربي بعامة من كتاباته في مجلة « الفكر » منذ سنوات عديدة والتي تناول فيها العديد من قضايا الفكر العربي والنهضة العربية وعرض فيها لمختلف أوجه الثقافة العربية والاسلامية وطرح فيها نظريات في مختلف الشؤون الفكرية والثقافية والادبية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والتعليمية بمنطق واضح سليم يقوم على الواقع ويرفض الحلول المسبقة والأنماط الجاهزة والقوالب المستوردة .

وله محمد مزالي سنة 1925 بمدينة المنستير وتلقى تعلمه الثانوي بالمدرسة الصادقية بتونس ثم واصل تعلمه العالي بكلية الآداب بباريس وحصل على إجازة الفلسفة من جامعة الصوربون سنة 1950 وعلى دبلوم الدراسات العليا في الآداب من جامعة باريس سنة 1954 ، وعمل استاذا بالمعهد الصادقي والكلية الزيتونية والمعهد العلوي وأسس مجلة « الفكر » سنة 1955 مع فجر الاستقلال الوطني لتونس ، كما أسس اتحاد الكتاب التونسيين سنة 1970 وانتخب رئيسا له وتجدد انتخابه حتى عين وزيرا أول سنة 1979 ، وهو عضو في مجامع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وبغداد والاردن ، وقد كرمته جامعة الصوربون أخيرا سنة 1985 بمنحه ميدالية الصوربون الممتازة ، فكان

أول مفكر عربي يحظى بهذه الميدالية العريقة تقديرا وعرفانا بقدره وقيمتـه الفكرية والثقافية والانسانية .

وقد أثرى مزالي المكتبة العربية بالعـديد من المؤلفـات ، منهـا كتـاب « الديمقـراطية » (1955) و « من وحـي الفكـر » (1969) و « مـواقف » (1973) و « دراسات » (1974) و « وجهات نظر » (1975) و « فى دروب الفكر » (1979) و « حديث الفعل » (1984) ، كما أسهم مع الاديب الكبيـر الاستاذ الفاضل البشير بن سلامه فى ترجمة كتاب « تاريخ شمال افريقيا » (1968) وكتاب « المعمرون الفرنسيون وحركات الشباب التونسى » (1971).

● **بحوث ودراسات حول فكر وأدب محمد مزالي :**

وقد كتبت عن محمد مزالي دراسات وبحوث عديدة تناولت بعض نواحى فكره وأدبه منها كتاب « محمد مزالي والنظرية التفاعلية » للاستـاذ محمـد الامين خلفة والذى تناول فيه المـؤلف مـواقف مـزالي فى الادب والفلسفة والحياة ، وكتاب «مزالي : الاصالة» من منشورات شـركة البحث والتـوجه الانسانى الكندية باشراف المنصف القيطوني التونسى ، ويدور الكتاب حول التعريف بمزالي الذى تمسك بأصالته وبقومه وتفتح على العالم وعصره ، كما ان هناك رسالة فى سبيل الاعداد لنيل درجة الدكتوراه من جـامعة الازهـر بالقاهرة عن فكر محمد مزالي باشراف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

أما المقالات التى تحدثت عن فكر وأدب مزالي فعديدة ، نذكر منها مقال الاستاذ رشيد الذوادى « قراءات فى فكر وأدب الكـاتب التـونسى محمـد مزالي » (1) ودراسة الاستاذ أبى زيان السعدى عن « الفكـرة والمنهـج فى مواقف محمد مزالي » (2) ، ومقال الدكتور صلاح عدس « محمد مزالي والثقافة التونسية » (3) ، ومقاله أيضا « التكاملية فلسفة محمد مزالي » (4) ، ودراسة

---

(1) مجلة « الفكـر » ، س 29 ع 3 ، ديسمبر سنة 1983 ، س 29 ، ع 4 ، يناير سنة 1984 ، وأصل المقالتين محاضرة ألقاها الاستـاذ رشيـد الذوادى فى 18 أكتوبر سنة 1983 برابطة الادب الحديث بالقاهرة .

(2) مجلة « الفكر » ، س 19 ، ع 4 ، يناير سنة 1974 ، وقد نشرها المؤلف فى كتابه « الادب التونسى المعاصر » ، الطبعة الثـانية ، سنة 1982 ، ص 236 ـ 242 .

(3) مجلة « الاذاعة » فى 9 فبراير سنة 1985 .

نور الدين بن بلقاسم عن « مفهوم الفكر والادب والانسان فى كتابات محمد مزالى » (5) ، ومقال الدكتور عبد القادر الحاج نصر « مدخل لتقديم فكر محمد مـزالى » (6) ، ومقال حسنى سيد لبيب عن « قضايـا الادب عنـد محمـد مزالى (7) ، وغير ذلك من الدراسات والبحوث التى تدور حول بعض نواحى فكر وأدب أستاذنا الكبير محمد مزالى .

● الأصالة ... النظرية والتطبيق :

ومن هنا فاننى أعتقد أنه ليس من السهل علينا أن نقسط الرجل حقـه وأن نحيط بكل مناحى فكره وأدبه فى مثل هذا المقال .

ولا أخفى القارىء الكريم أننى عندما شرعت فى كتابة هذا المقال اخترت له عنوانا هو « مع فكر وأدب محمد مزالى » ، وهو عنوان كما هو واضح متعدد النواحى متشعب الجوانب ، ثـم عكفـت على قـراءة مؤلفات مـزالى وكتاباته العديدة ومحاضراته القيمة فى مختلف المناسبات ، وسرعان ما تبينت أننى أمام خضم هائل وكم ضخم من الافكار والمبادىء والنظريات والقضايا التى تناولها مزالى أو طرحها أو ناقشها فى مؤلفاته وكتاباته ، بيد أنى لاحظت أن هناك كلمات كثيرا ما ترددت فى هذه الكتابات تجسم وتجسد المبادىء والقيم والمثل العليا والقضايا والافكار التى تناولها مزالى أو ناقشها أو طرحها أو دعا اليها أو دافـع عنهـا ، ومن هـذه الكلمـات « الحـرية » و « الديمقراطية » و « الالتزام » و « المسؤولية » و « الأصالة » و « التونسة » و « التعريب » و « الذاتية التونسية » أو « الشخصية التونسية » و « المعاصرة » و « حوار الحضـارات » و « حوار الثقافـات » ، وغير ذلك من الكلمات ذات المفاهيم والدلالات التى تحدد اهتمامات هذا المفكر الكبير وتشير الى الخطوط العريضة التى تنتظم فكره ونظرته الشاملة الى مختلف الشؤون .

غير أن أهم ما استرعى انتباهى ولفت نظرى هو فكرة محمـد مـزالى فى « الأصالة » ومحاولة تنظير هذه الفكرة وما يتصل بها أو يتفـرع عنهـا من « تعريب » و « تونسة » و « تفتح » و « معاصرة » و « حوار بين الحضارات

---

(4) مجلة « الفكر » ، س 30 ، ع 9 ، يونيو سنة 1985 .
(5) مجلة « العلم والتعليم » ، س 3 ، ع 16 ، سنة 1977 .
(6) مجلة « الفكر » ، س 28 ، ع 2 ، نوفمبر سنة 1982 .
(7) مجلة « الفكر » ، س 30 ، ع 8 ، مايو سنة 1985 .

والثقافات » ، ومن هنا آثرت أن أقصر مقالى هذا على الحديث عن « الأصالة النظرية والتطبيق فى فكر محمد مزالى » ؛ جذور هذه النظـرية وأصولهـا وملامحها وخصائصها والمقصود منها وما يتصل بها أو يتفرع عنها من مبادىء ومفاهيم أخرى تعتبر امتدادا وتكملة لها وتطبيقات هذه النظرية على الواقع التونسى فى مجال التربية والتعليم والادب والثقـافة ، على أن أتنـاول فى مقالات أخرى إن شاء الله بعض النواحى الاخرى من فكـر وأدب أستاذنـا الكبيـر .

● الخلفية التاريخية لنظرية الأصالة عند محمد مزالى :

لعله أن يكون غنيا عن البيان أن القارىء لمؤلفات الاستاذ محمـد مـزالى وكتاباته سرعان ما يتبين أن الرجل لا يكتب لمجرد الكتـابة ولا يكتب من فراغ ، وإنما يكتب ليعبر عن رأى معين وموقف معين ، رأى أو مـوقف له جذور عميقة فى ذهنه وعقله وله خلفيات فى نفسه ووجدانه ، ومن هنا فان **فكره ـ كما يقول الاستاذ رشيد الذوادى بحق ـ يؤثر فيك لانه أحـاسيس وتجارب معيشة وفيه ظواهر القدرة والمسؤولية والرؤية البنـاءة وما يشـد الانسان الى الكفاح المتواصل وما يحفزه الى نشدان الحقيقة وتبيان الطريق** (8).

من هذا المنطلق فان نظرية مزالى عن « الأصالة » ودعوته اليها ودفاعه عنها وحماسته لها وتأكيده عليها فى كل مناسبة لم تأت من فراغ ولم تنبـع من مجرد فكرة نظرية محضة ، وإنما ترجع من ناحية الى جذور عميقة وخلفيات بعيدة فى تاريخ هذا القطر التونسى ، تلك هى ما عانته تـونس فى ظـل الاستعمار الفرنسى والحماية من ويلات وعذابات وصنوف القهـر والظلـم والاستبداد ومحاولات طمس روح العروبة والاسلام فى الشعب التـونسى العربى المسلم ، ورغبة المستعمر الاجنبى المحمومة فى ملاشاة اللغة العربية ومحو الثقافة العربية والفكر العربى واحلال لغته وفكره وثقافته محلها ، وقد عاش مزالى كل هذه الاوضاع وعانى وكابد منها أشد ما تكون المعاناة والمكابدة حتى أنه تعلم الصرف العربى باللغة الفرنسية فى المدرسة الصادقية ، وكان أستاذه فى هذه المادة فرنسيا .

يقول الاستاذ مزالى : « لقد دفعتنى الغيـرة الوطنية الى دراسة القضيـة التونسية أكثر من غيرها والاعتناء بها اعتناء كبيرا وبالاخص التعـرف الى

(8) الاستاذ رشيد الذوادى ، المرجع المشار اليه سابقا .

تاريخ الاحتلال الفرنسي الذي لا نجده في برامج التعليم الرسمية ولا أثر له في مكتبات بلادنا العمومية » (9) .

من هذه الخلفية التاريخية ، أقام محمد مزالي نظريته في « الأصالة » وبعبارة أخرى نبتت فكرة « الأصالة » في ذهنه وعقله ووجدانه ، اعتبارا بأن « الأصالة » رد فعل طبيعي لما عانته تونس في ظل الاستعمار الفرنسي والحماية الاجنبية ، فكان من الطبيعي إذن أن يتحمس مزالي لنظريته في « الأصالة » ولا ينفك يتحدث عنها وعن تبيان المقصود منا وتوضيح ملامحها وسماتها وإبراز خصائصها ومميزاتها والعمل على تطبيقها في مختلف المجالات وبخاصة في مجال التربية والتعليم والثقافة والادب والاجتماع ، فهو أحد أبناء تونس المخلصين لهويتها وواحد من أعظم تلاميذ مدرسة المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبه ، تشرب مبادئه في الحرية والديمقراطية والعدل الاجتماعي .

● **الأصالة فكرة غير مستوردة :**

هذا من ناحية ، ومن ناحية **أخرى** فانه **بقدر** ما ترجع نظرية **الأصالة عند محمد مزالي الى** خلفية تاريخية على ما سلف بيانه ، بقدر **ما** ترجع **أيضا الى** تراب الوطن التونسي وإيمان الرجل إيمانا يكاد يكون مطلقا بعدم جدوى الحلول المسبقة الجاهزة والقوالب والانماط المستوردة والايدلوجيات والنظريات الوافدة في بناء تونس المعاصرة ، تونس القرن الحادي والعشرين.

وبديهي فان « الأصالة » لفظا ومعنى ترفض التقليد وتدعو الى التجذر والتأصل ، أي الرجوع الى الجذور والاصول العربية والاسلامية في مختلف المجالات وشتى الميادين . وهي ليست كالدعوة الطورانية التي سادت تركيا إبان عهد كمال أتاتورك ، وليست كالدعوة الى سيادة الجنس الآري التي نادى بها هتلر في المانيا النازية ، وليست كالدعوة الى الفرعونية التي نادى بها طه حسين ، إنها دعوة للرجوع الى الحضارة العربية الاسلامية ، الى الفكر العربي الاسلامي الى التراث العربي الاسلامي ، الى الثقافة العربية الاسلامية مع الاخذ بكل جديد وطريف ونافع ومفيد في عالمنا المعاصر .

إنها دعوة الى البحث عن حلول جديدة لا حلول جاهزة مسبقة أو مستوردة من الخارج ، وقد عبر مزالي عن ذلك أصدق تعبير بقوله : « لا أزال على

(9) محمد مزالي ، دراسات ، ص 16 .

اعتقادى بأن كل **الايدلوجيات** المستوردة والنظريات الوافدة والمذاهب المستقدمة الجاهزة انما مصيرها الفشل والذوبان مثلها مثل شجيرات **أرادوا** زرعها فى مناخ لا يلائمها وفى تربة لا تؤاتيها فكان مآلها الزوال والاندثار ، **أما** الايدلوجية الصحيحة فهى تلك التى **يمكن تشبيهها بالشجرة الباسقة** . فأما الجذور فهى ذلك الماضى المتأصل تراثا وحضارة فى القوم ، وأما الفروع فهى هذا الحاضر المرتبط وثوقا بتلك الجذور والتى تغذيه ، يثمر زهورا باسقات تعد بمستقبل معطاء . إن الأنا الحضارية فى معناها العميق الهادف الى التمسك بأصالة الذات وتأصل الكيان ، هى المرتكز الانسب بل الوحيد لكل أيدلوجية ناجحة ، وإن مصطلحى الأصالة والتأصل لا يعنيان النظرة السلفية الضيقة ، بل الأصالة تحمل فى طيات مضمونها فرضية التفتح انطلاقا من ايماننا بأن لا يمس هذا التفتح من أصالتنا وكياننا ولا يسىء الى ذاتنا » (10) .

كما أكد مزالى هذا المعنى لرفض النماذج المستعارة فى بناء **الأصالة فقال** من كلمة ألقاها سنة 1973 فى مؤتمر الادباء العرب التاسع : « إننا حريصون على إقامة صرح ثقافتنا على أسس ذاتية قومية سالمة من مستعار النماذج ودخيل الأنماط والأساليب ، وذاتية قومية سالمة بالخصوص من التحجر والتقليد واجترار الماضى المحنط » (11) .

وليس معنى هذا بطبيعة الحال أن الأصالة ـ كما يقول مزالى ـ تتضارب مع التقدم العصرى والتطور التقنى ، بل « إن الامر هو أولا وآخرا فى معرفة ما اذا توافرت فى أبناء الأمة الطموحة الى الحياة الحق ، ارادة البقاء والثقة فى النفس والقدرة على الهضم الحضارى والايمان بحتمية المساهمة الطريفة الايجابية فى إنماء الحضارة الانسانية » (12) .

وخلاصة ما تقدم أن الأصالة عند محمد مزالى ترجع الى خلفية من تاريخ هذا القطر التونسى فى ظل الاستعمار الاجنبى ، كما أنها تقدم الحل العربى المناسب والملائم لتونس المعاصرة ، تونس ما بعد الاستقلال ، تونس القرن الحادى والعشرين .

---

(10) مجلة « الفكر » ، س 30 ، ع 1 ، أكتوبر سنة 1984 ، ص 12 .
(11) محمد مزالى ، وجهات نظر ، ص 197 .
(12) مزالى ، المرجع السابق ، ص 133 .

● المقصود بالأصالة وسماتها وخصائصها :

فما هو المقصود بالأصالة ؟ وما هي سماتها وخصائصها ومميزاتها ؟ وما هي المفاهيم أو المبادىء الاخرى التي انبثقت عنها وتفرعت عنها باعتبارها امتدادا وتكملة ضرورية لها ؟

يبين من كتابات محمد مزالي أنه حدد أكثر من مرة المقصود بالأصالة تحديدا واضحا لا لبس فيه ولا غموض ، كما أوضح خصائصها ومميزاتها وبين المبادىء والقيم الاخرى التي تنبثق عنها ، ولعل فيما نورده فيما يلي من أقواله أصدق شاهد على ذلك ، ففي حديث له بعنوان « الثقافة والسياسة » قال مزالي : « نحن عندما نتحدث عن الأصالة لا نعني الانغلاق ولا التعصب ولا الرجوع السلبي الى الماضي والاكتفاء بترديده ، الأصالة هي اتجاه وموقف وثقافة عامة ووعي لمنزلتنا كتونسيين ، إننا من دعاة الأصالة أي أننا من دعاة تونس المستقلة العربية الاسلامية العصرية المزدهرة المساهمة في صنع التاريخ المعاصر والدخول الى عام ألفين من بابه الكبير ، إننا من دعاة الأصالة أي أننا نعطي محتوى حضاريا متكاملا لكل أعمالنا سواء كانت سياسية بحتة أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، وتوجد بينها تجانسا وانسجاما ونرسيها على جذع مشترك يشدنا الى أرضنا وتربتنا ويمكننا من التحاور مع غيرنا من دون أن نخشى التفسخ ولا الذوبان ، هذه هي الأصالة ، إنها جهد متواصل وبناء مستمر وتفاوض لاينى ولا يتوقف بين الفكر الحي والقلب النابض بالوطنية ، وبين واقع متغير صعب ، والأصالة لا تعني السلبية بل تعني الايجابية ولا تعني الانطواء بل هي الانطلاق الى الامام ومواجهة الصعوبات والتقحم على المعضلات ، وهي تعني الشجاعة وخوض غمار الحياة كما يقول أبو حامد الغزالي خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور ».

والأصالة ليست اجترار الماضي ولا مجرد التغني بأمجاده وليست أيضا التشبه بالغير والانبهار بأنواره الصناعية ، بل هي تقتضي الاعتزاز بالذات الفردية والجماعية والنخوة بالانتساب الى وطن مهما كان حجمه وموارده .

والأصالة في آخر الأمر تفتح وتفاعل وتراشح وحوار . ونحن من أنصار التفتح أي من دعاة المجهود المبذول عن وعي ومسؤولية والمستمد من سلم القيم التي تؤمن بها المجموعة القومية في أعمق أعماقها . نحن لا نتفتح عن أي كان ولا على أي ميدان يزج بنا فيه أو يفرض علينا الدخول اليه ، بل

نتفاعل مع العالم ومع كل التيارات الفكرية ونسير بحسب ضميرنا وبهدى من عقيدتنا ، لان الحياة عقيدة وجهاد ، ونحن نطمح الى الدخول الى العالم من بابه الكبير والى التفاعل معه والتعاون مع الغير والتحاور مع كل المذاهب والمدارس ولكن انطلاقا من وجهة نظرنا .

والتفتح الصحيح طريقه الحوار النزيه على التقدير المتبادل .

وما التعريب والتونسة الا وجه من هذا الاصلاح التربوى الذى أقدمنا عليه والهادف الى تكوين شباب تونسى أصيل معتز بأنه تونسى ومعتز بمقوماته العربية الاسلامية وبقدراته الذاتية والجماعية وقادر على أن يتحاور مع الغير على أساس المساواة وبقاعدة الاخذ على قدر العطاء وانطلاقا من أن لكل أمة خاصيتها ومقوماتها وشخصيتها وأنه من حقها أن تنفرد فى شخصيتها وتنميتها وتعتز بها كما تقتبس من الغير ما قد يفيدها ويثريها » (13) .

بهذه الكلمات الواضحة حدد محمد مزالى مفهوم الأصالة وبين خصائصها ومميزاتها كما أوضح المفاهيم والقيم الاخرى التى تنبثق عنها وتعتبر امتدادا وتكملة لها ومجالا حيوا تتحرك فيه عند التطبيق ، ومن هذه القيم والمبادىء والمفاهيم «التونسة» و «التعريب» و «التفتح» و « الحوار بين الحضارات والثقافات » .

وفيما يلى كلمة عجلى عن كل من هذه القيم والمبادىء .

● **التونسة :**

فالتونسة تعنى فى المقام الاول الحفاظ على كيان الامة التونسية الروحى وصيانة شخصيتها الحضارية وتغذية أجيالها الصاعدة بروح القيم العليا التى تؤمن بها وتهتدى بهديها (14) ، وهى ركيزة من ركائز الأصالة وفرع من فروعها وجناح من أجنحتها وفى ذلك يقول مزالى : « نحن حين ننادى بتونسة برامج التعليم تونسة جدية ونعتبر ذلك شرطا أساسيا من شروط الأصالة القومية وضمانا لمناعة هذه الامة ودرءا لعوامل الانحلال والتفسخ والذوبان

---

(13) مجلة « الفكر » ، س 25 ، ع 7 ، ابريل سنة 1980 .
(14) محمد مزالى ، وجهات نظر ، ص 36 .

مع الغير ، لا ننساق مع العاطفة ولا يحركنا تعصب مقيت ، وإنما نؤكد ضرورة حيوية وقضية مصيرية ، إننا نريد أن تساهم البرامج التعليمية ـ أكثر مما هي تساهم الآن ـ في تأصيل الشباب في بيئته وتنشئته على محبة الوطن والاعتزاز بالانتساب اليه ، على أن التونسة ليست انغلاقا على النفس أو تنكرا للقيم الانسانية الخالدة ... إنما التونسة مطلب من مطالب الاخلاص للذات والوفاء للروح ، والتونسة إحياء واستحياء للماضي ورهان على المستقبل » (15) .

كذلك يؤكد مزالي أن : « التونسة لا تعني الانفصال عن العروبة ولا تتنافى مع محبتها والاخلاص لتراثها ، إن التونسة روح قبل كل شيء ووفاء للذات وعمل لخلق شباب تونسي مؤمن بمقومات أمته الأساسية ؛ الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية واللغة العربية والتاريخ القومي ، والتونسة لا تعني الانغلاق على النفس ولا الادبار عن العلم المتمدن ولا تتنافى مع وجوب الاخلاص للحضارة الانسانية والوفاء للثقافة البشرية » (16) .

● **التعريب :**

أما التعريب كمبدأ منبثق عن الاصالة ، فان محمد مزالي يعتبر بحق من رواد هذا المبدأ في القطر التونسي ، وقد خاض سلسلة من المعارك الفكرية والثقافية والاجتماعية من أجل تحرير الذات التونسية من الشوائب التي خالطتها بفعل مخططات الاستعمار وضغوطه وأساليبه ، فكان من رأيه دائما أن تونس عربية اللغة والثقافة والمصير في اطار عقيدتها الاسلامية وأن المحافظة على هذه الهوية هي الصمود الحقيقي في وجه الاستعمار الاجنبي والغزو الثقافي . فمن أقوال مزالي عن التعريب : « لطالما قلت ورددت : إن التعريب في حد ذاته فرع مما أسميه بالأصالة التونسية العربية الاسلامية . والتعريب بالنسبة للشعب التونسي ليس مجرد شعار ، ذلك أن تونس لا يمكن أن تكون لغتها غير اللغة العربية » وفي كلمته عن «التونسة والتعريب» يقول : « أما التعريب الذي هو مقوم من مقومات التونسة كالدين الاسلامي الحنيف فهو ضرورة حتمية ما دامت لغة البلاد التونسية هي العربية ولا بد من مجهود شجاع لتعريب مواد أساسية كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة» (17).

---

(15) محمد مزالي ، وجهات نظر ، ص 36 .
(16) محمد مزالي ، مواقف ، ص 37 ، 38 .
(17) مزالي ، وجهات نظر ، ص 48 .

كما يقول ردا على ما جاء بمجلة « اسبرى » الفرنسية فى عددها الصادر فى يوليو سنة 1970 : « ظهر خلال أجوبة بعض أعوان التعاون الثقافى على استفتاء المجلة الفرنسية أن التعريب ضرب من ضروب مناهضة الغرب والتعصب للعروبة ورجوع للوراء وسبب من أسباب التأخر ، وهو رأى غريب يدل على أن عملا كبيرا يجب القيام به فى أوربا ذاتها لتطهير العقليات مما لا يزال عالقا بها منذ الحروب الصليبية وتخليص النفوس من شوائب عهود الاستعمار البغيضة . إن علينا أن نتعلم كيف نحترم أنفسنا ونعتز بلغتنا ونقيم الدليل على أن اللغة العربية لا تتنافى مع المستوى والتسامح والتعاون وحذق اللغات الاخرى ، وأنها يمكن أن تكون أداة تقدم ورقى شانها شأن اللغات التى تخلف الناطقون بها ردحا من الزمن ثم ما لبثوا أن التحقوا بالركب بفضل مضاء عزيمتهم وشدة ثقتهم فى أنفسهم » (18) .

● **التفتـــح :**

أما « التفتح » فهو أيضا من المفاهيم التى تفرعت عن الأصالة أو كما يقول مزالى إن : « الأصالة تحمل فى طيات مضمونها فرضية التفتح انطلاقا من إيماننا بأن لا يمس هذا التفتح من أصالتنا وكياننا ولا يسيء الى ذاتيتنا » (19) .

والتفتح الصحيح عنده طريقه الحوار النزيه القائم على التقدير المتبادل ، فالتسامح والاريحية وسمو الاخلاق ومقتضيات التعايش السلمى تعنى جميعها التفتح على الغير أى الاستعداد النفسى لحسن الظن به والاصغاء اليه والتواضع المبدئى إزاء آرائه وإنتاجه وترقب الجديد الطريف منه ونشدان الحوار الايجابى معه (20) . كذلك فان الدعوة للتفتح عند مزالى : « لا يكون لها معنى دون تكامل الشخصية القومية وحيطة من التلاشى والضياع الروحى ، والا كانت قناعا للاستعمار الثقافى وستارا للتبعية » (21) .

---

(18) مزالى ، المرجع السابق ، ص 74 .

(19) مجلة « الفكر » ، س 25 ، ع 1 ، أكتوبر سنة 1980 .

(20) مزالى ، وجهات نظر ، ص 207 .

(21) مزالى ، المرجع السابق ، ص 37 .

● الحوار بين الحضارات والثقافات :

ويتصل الحوار بين الثقافات والحضارات ـ الذي يدعو محمد مزالي اليه ـ اتصالا وثيقا بمفهوم التفتح كأحد المبادىء المنبثقة عن الأصالة ، فالتفتح الصحيح كما يقول طريقة الحوار النزيه القائم على التقدير المتبادل .

ويرى مزالي أن على العالم الثالث لتأكيد نفسه أن يتحاور مع كافة الثقافات حتى تلك التى تناوئه (22) ويقول : « نحن نطمح الى الدخول الى العالم من بابه الكبير والى التفاعل معه والتعاون مع الغير والتحاور مع كل المذاهب والمدارس ولكن انطلاقا من وجهة نظرنا » .

وفى كلمة فى افتتاح أعمال الدورة الاولى لبيت الحكمة (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) قال مزالي : « إننا نريدها ـ أى تلك المؤسسة ـ مؤسسة تعمل على دعم الحوار الجاد الدائر باستمرار بين الثقافات والحضارات وتربط أواصر التعاون مع المؤسسات العالمية لاستكشاف أهم المستحدثات الثقافية والانتفاع بالتجارب الميدانية الطريفة والتفاعل معها تأثرا وتأثيرا ، أخذا وعطاء ، حفزا للهمم الصادقة على الابتكار والابداع الفكري والفني » (23) . ويقول أيضا : « إننا نؤكد مرة أخرى أننا نؤمن إيمانا صادقا راسخا بوجوب التعاون فى أخصب مظاهره وأنبل معانيه وجدوى الحوار بين الثقافات وأريحية الجهاد من أجل التفاهم الانسانى والأخوة البشرية ، وإن تونس بحكم تاريخها وموقعها الجغرافى وسجايا أهلها لا يمكنها أن تنغلق على نفسها ، بل إن التفتح أصل من أصول فلسفتها فى الحياة ولكن الحفاظ على شخصيتها ضرورة حيوية والتمسك بمقوماتها العربية الاسلامية اختيار مصيرى لا يمكنها أن تفرط فيه دون أن تفرط فى روحها وتهضمها الأقوام الاخرى ، ومن ألزم اللازم أن يخدم تعليمنا وثقافتنا وأجهزة الاعلام فى ربوعنا هذا الاتجاه الوطنى الانسانى معا » (24) .

ولا يقتصر الحوار بين الثقافات والحضارات عند مزالي على مجرد الحوار بين الثقافة والحضارة التونسية وبين غيرها من الثقافات والحضارات الاوربية

---

(22) مجلة « الفكر » ، ص 28 ، ع 3 ، ديسمبر سنة 1982 .
(23) مجلة « الفكر » ، س 29 ، ع 4 ، يناير سنة 1984 .
(24) مزالي ، وجهات نظر ، ص 77 .

والاجنبية ، وانما يشمل أيضا الحوار بين المشارقة والمغاربة للقضاء على تلك العزلة الثقافية بين أقطار المشرق والمغرب العربيين ، ومن هذا المنطلق دعا مزالى الى عقد قمة ثقافية عربية .

أما السبيل الأمثل الى الحوار بين الثقافات والحضارات فهو فى تهيئة الجو المناسب والمناخ الملائم لاجراء مثل هذا الحوار الهادف البناء ، وفى ذلك يقول محمد مزالى : « للعلاقة بين الشرق والغرب بعد حضارى وثقافى هام ، فلو توفق الشرق والغرب الى طى صفحة الماضى وتجاوز مخلفات الحروب الصليبية والحروب الاستعمارية ومركبات التفوق ، لأمكن بذلك ايجاد الظروف المناسبة للحوار الصحيح السليم ولأمكن للشرق والغرب أن يقدر كل منهما قيمة الطرف الآخر حق قدرها » (25) .

● السبيل الى تحقيق الأصالة :

أما كيف تتحقق الأصالة كفكرة ونظرية وحل ، لبناء تونس المعاصرة ؟ وكيف تتبلور معانيها ومفاهيمها وتتأكد خصائصها ومميزاتها وبالتالى تتحقق أصالة المواطن التونسى والمجتمع التونسى ؟ فيرى الاستاذ محمد مزالى أنه لكى يكون المواطن التونسى أصيلا يجب أن يكون تونسيا عربيا معتزا بعروبته مؤمنا بتاريخه وحضارته محافظا على تراثه الفكرى والحضارى مدافعا عن هويته وذاتيته ، ولكى يكون ذلك يجب أن تتجسم هذه المثل والمبادىء وتلك القيم والمفاهيم فى الحياة التطبيقية أى فى الافعال والسلوك والتربية والتعليم والثقافة والادب لتظهر بذلك كله خصائص هذا المجتمع عن باقى المجتمعات الأخرى .

وقد أوضح مزالى السبيل الى أصالة المواطن التونسى والمجتمع التونسى فقال : « إن المسالة تنحصر فى التوفيق بين التراث والمعاصرة أى بين القديم والجديد ، بين الماضى والمستقبل . وهناك فريق يتمسك بالتراث بدعوى الأصالة وفريق ينبهر بالغرب ويرى أن التقدم مشروط بمحاكاة الغرب ، وأعتقد أن كلا الفريقين مخطىء . كيف نحافظ على شخصيتنا ونتمسك بمقوماتنا الحضارية وفى نفس الوقت نعيش عصرنا ونأخذ بأسباب العلم والتكنلوجيا ؟

(25) مجلة « الفكر » ، س 25 ، ع 6 ، مارس سنة 1980 .

إننا اذا تمسكنا بلغتنا العربية وطورناها وجعلناها تعبر عن كل المفاهيم والمصطلحات العصرية ، واذا تمسكنا بديننا الاسلامى الحنيف من حيث هو عقيدة وحضارة فى آن واحد وعرفنا كيف نستوحى من تراثنا القدرة على التلاؤم مع عصرنا من ثقة فى النفس وتفاؤل بالمستقبل وثبات وعزيمة وروح عمل جماعية وتضامن ، اذا استطعنا أن نستوحى هذه القيم من تراثنا المجيد سهل علينا الوقوف فى عالمنا المعاصر على أقدامنا واستطعنا كذلك أن نقتبس من العالم المتقدم أسباب القوة الكامنة فى العلم والتبحر فيه والاحاطة بالتكنولوجيا، واستطعنا أيضا أن نضع مناهج عصرية علمية فى تعليمنا فى كل الاقطار العربية » (26).

● تطبيق نظرية الأصالة :

دعا محمد مزالى فى كتاباته ومحاضراته الى تطبيق الأصالة بمفهومها الذى تحدثنا عنه آنفا وذلك فى شتى مجالات الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وأدبية وثقافية وفنية وتربوية وتعليمية ، وبالجملة دعا الى أن تكون الأصالة خطة للحياة ومنهجا للسلوك فى شتى الميادين ومختلف المجالات .

وقد ركز مزالى فى كتاباته بصفة خاصة على التعليم والادب والثقافة ، فدعا الى وجوب إقامة نظام أصيل للتربية والتعليم لتحقيق التونسة والتعريب فى هذا النظام ، وأن يعاد النظر فى كل المواد التعليمية والبرامج الثقافية بحيث تصبح الروح والمقصد والمنزع والاطار التربوى ترمى كلها الى تأصيل الشباب فى وطنهم وتجسيم كل مقومات الامة وغرس العقيدة الوطنية فى نفس الشباب بحيث يؤمنون بأنهم ينتمون الى وطن له خصائصه الحضارية وله تاريخه وأمانيه ويعتزون بالانتساب اليه ويندمجون فيه ويستعذبون البذل والتضحية من أجل نصرته ومناعته .

والى هذا المعنى نادى مزالى « بتونسة » برامج اللغة العربية أى أن تكون أغلب النصوص المختارة للتفسير والمطالعة منتخبة من كتب ودواوين شعر تونسية تصور البيئة القومية وترسخ التلميذ فى وسطه وتحبب اليه أهله وتدفعه الى الاعتزاز بقومه وتبعث فيه الحماس للمساهمة فى تقدم بلاده سياسيا أو علميا أو اجتماعيا (27) .

---

(26) مجلة « الفكر » ، س 25 ، ع 6 ، مارس سنة 1980 .
(27) مزالى ، وجهات نظر ، ص 46 — 49 .

ويؤكد مزالي على ضرورة أن تسهم البرامج التعليمية فى تأصيل الشباب فى بيئته وتنشئته على محبة الوطن والاعتزاز بالانتساب اليه والاستعداد للمساهمة فى إعلان شأنه وتطوير ثقافته وانماء تراثه والزيادة فى اشعاعه لما فيه خير الانسانية وتقدم الحضارة (28) . ويرى أنه ليس كالتربية والتعليم من سبيل الى خلق أجيال تونسية صحيحة ، ولا تربية ولا تعليم أصيلين من دون برامج متونسة وتمسك بأقدس مقومات هذه الأمة (29) .

وفى حديثه عن « مدارس الترشيح » قال مزالى : « يجب أن نتفق على المميزات التونسية أو ما نسميه بالشخصية التونسية ، اذ ليست التربية غاية فى حد ذاتها ، فالتربية فن وطريقة ناجعة للبلوغ الى غاية ، وغايتنا هى خلق أجيال تونسية نريدها متأصلة فى بيئتها ونريدها معتزة بكونها تونسية مشدودة الى تاريخها البعيد والقريب ، مسيطرة على واقعها ، ترنو الى مستقبلها ، كما نريدها متفتحة على العلوم العصرية والتكنلوجيا واللغات الحية وعلى مشاغل العصر ، هذا هو الذى يجب أن نتفق عليه وأن نضبطه وأن نكيف بمقتضاه مدارس الترشيح ادارة واطارا وبرامج ومناهج وتربية شاملة متواصلة (30) .

هذا عن تطبيق الأصالة فى مجال التربية والتعليم .

أما عن تطبيقها فى مجال الادب والثقافة ، فبادىء ذى بدء يرى الاستاذ محمد مزالى أن التخطيط لبناء ثقافة عربية إسلامية ثرية أصيلة متجددة مزدهرة واجب من أوكد واجباتنا الحاضرة ، جدير بأن نسخر له من امكانياتنا وجهودنا ما ينهض بأعبائه ويضمن مساره ويوفر الظروف الملائمة لتحقيق أهدافه (31) ، ذلك أن الشعب التونسى ـ كما يقول مزالى ـ قد أدرك خطورة الثقافة وبعد أثرها فى روح الاجيال وتكوينها فقاوم السياسة التعليمية التى كانت تهدف الى القضاء على الشخصية التونسية وتسعى الى فرنسة الشباب

---

(28) مزالى ، المرجع السابق ، ص 36 .

(29) مزالى ، المرجع السابق ، ص 40 .

(30) محمد مزالى ، دراسات ، ص 117 .

(31) مجلة « الفكر » ، س 27 ، ع 3 ، ديسمبر سنة 1981 .

كي يسهل إدماج هذه الأمة تماما ، ووقف كالرجـل الواحد الصامد وما زال بها حتى سفه أحلامها ودرأ خطرها (32) .

ولا يعتبر مزالى ابتهاج البلاد بالاستقلال كاملا حتى تستقل ثقافيا وتبنى بأيديها صرح النظام التعليمي التونسى الخالص الذى يضمن للامة التونسية طرافة الشخصية ويهيىء أسباب بعث الثقافة القومية الخالصة ، ويعلنها مزالى صريحة مدوية : « نريد إذن استقلالا ثقافيا يتمخض عن ثقافة تونسية وأدب تونسى طريف ينزلنا المنزلة اللائقة بين الأمم » (33) .

وفى حـديثه عن اتحـاد الكتـاب يقول : « إن الكتـاب الاصيلين بحـق يساهمون فى إثراء الثقافة القومية وبلـورة الأصـالة الوطنية ، ولكنهـم لا ينغلقون على أنفسهم بل يؤمنون بتلاقح الثقافات والتقـارب بين الحضارات ، إنهم يتمسكون بخصوصيتهم وطرافتهم وينزعون فى الوقت ذاته الى العمومية الى العالمية الى الانسانية فى أوسع أبعادها وأشرف معانيها » (34) .

والأصالة فى الثقافة عند مزالى تعنى أيضا إقامة الثقـافة على أسس ذاتية قومية سالمة من مستعار النماذج ودخيل الأنماط والأساليب ، وذاتيةقومية سالمة من التحجر والتقليد واجترار الماضى المحنط (35) .

وعندما ينادى مزالى بالأصالة وما يتفـرع عنهـا من تـونسة ويدعـو الى تطبيقها على الادب والثقافة ، فان هذا يعنى أنه ينادى الى الثقـافة العـربية الاسلامية التونسية وجعل الادباء التونسيين مثلا عندما يستوحون الطبيعـة ليكتبوا شعرا ان يستوحوا مناظر تونس وجبالها وبساتينها (36) .

لقد كافح الاستاذ محمد مزالى وناضل فى سبيل الدعوة الى الأصـالة وما تفرع عنهـــا من تونسة وتعريب وتفتح وحوار بين الحضارات والثقافات ودعا

---

(32) مزالى ، من وحي الفكر ، ص 213 .
(33) مزالى ، من وحي الفكر ، ص 210 ــ 216 .
(34) مزالى ، وجهات نظر ، ص 58 .
(35) مزالى ، وجهات نظر ، ص 197 .
(36) مجلة « الفكر » ، س 26 ، ع 2 ، نوفمبر سنة 1980 .

الى تطبيق الأصالة بهذا المفهوم منهجا وسلوكا فى شتى الميـادين ومختلف المجالات ، إيمانا منه بأن الأصالة نظرية وتطبيقا من أهم دعائم بنـاء المجتمع التونسى المعاصر وخلق الانسان التونسى العربى الجديد الذى يستطيع بناء حضارة جديدة وابراز الخصائص والمقومات التى يتميز بها الشعب التونسى ، دعا محمد مزالى الى هذا كله فى محاضراته وكتاباته بمجلـة « الفكـر » وفى مؤلفاته وعمل على تطبيقه عمليا والاخذ به من مواقعه القيادية ومناصبه التى تقلدها وخاصة عندما تولى وزارة التربية القومية ثم منصب الوزيـر الاول ، فتمكن بذلك من الجمع بين تنظير الفكرة وتطبيقها عمليا فوفق فى الامـرين توفيقا كبيرا بعون الله سبحانه وتعالى . والله ولى التوفيق .

رابح لطفي جمعه

(القـاهرة)

تونس الحبّ .. تونس الياسمين ..

شعر: ريم العيساوي

كتبتكِ تونسُ باقة زهـــرٍ   وبحتُ بعشقكِ بوحا جليلا
كتبتكِ سرّا .. كتبتكِ جهرا   وبحتُ بحبي إليك طويلا
سلي تونسُ العشقَ عني يجبك   أحبّك تونس حُبّا نبيلا
تموت الحروف بداخل صدرى   سواكِ بحبي ليس كفيلاَ
وهبتك فكري ونور عيوني   فكنتِ لروحي العطاء الجزيلاَ
سلكت دروبك طفلا جريحا   فكان هواكِ دواء بليلا

* * *

لنا في الشمال جبال تَعَالَتْ   بأشجارها قد بدتْ أرخبيلاَ
وثلج من الطهر يسقي البرايا   فيحيي النفوس ويَشفي العليلاَ
تَزِينُ الهضابَ أكاليلُ قمح   روى الدهر سرّه جيلا فجيلا
وقرب الشواطي قناديل زيت   تُنيرُ لعين البصير السبيلا
لنا في الجنوبِ عَرائس نخل   تغازل شمس الضحى .. والأصيلا
أتونس والياسمين شذاك   تعطّرتِ منه زمانا طويلا
ومن زهر الفلّ حكتِ برودا   وصغت لنا منه مهدا ظليلا
وصلّيت لله حتى استجابَ   فَظَلّ اخضراركِ — دوما — دليلا

رسالة إلى أبي عبد «الفكر»

بقلم: بشيره حسين غديره

إلى روح والـدي ، (*)
أيهـا الراحـل العزيـز ،
اليوم ينقضى على فراقك ثلاثمائة وسبعة وستون يوما .
اليوم عادنى طيفك ... و « الفكر » تحتفل بعيد ميلادها الثلاثين .
« الفكـر » ، هذه المجلة التى تعودت على اقتنائها غرة كل شهر ، من يوم صدورها حتى رحيلك .

لقد كنت تتلو محتوياتها على مسامعى ، وأنا صبية لا أفقه من أمور الادب والفلسفة شيئا ، فتنزل عند رغبة استفساراتي وتشرح لى بأسلوبك الطريف ما عسر علي فهمه حتى سكنت هذه المجلة وجداني .

أيهـا الحبيـب الراحـل :
ها أنا أقتني مع مطلع كل شهر العدد الجديد من مجلة «الفكر» نيابة عنك.
« الفكـر » يا أبت تحتفل اليوم بين أحبتها بعيد ميلادهـا الثـلاثين ، حضرت وفود عديدة من جميع الاقطار ، وحضرت أنا نيابة عنك .. ولكـن مكانك بين الأحبة بقي شاغرا .

أعدك أنى سأكون على موعد مع « الفكر » فى مطلع كل شهر ، سأقتنيها لك حتى آخر يوم فى حياتى ، ورجائى أن يواصل ابنى هذه المهمـة من بعدى . عربون وفاء لك .

وسيبقى طيفك ساكنا ذاكرتى مدى الدهر .
تصفحت مجلتك الغراء « الفكر » .
فارتمست صورتك على صفحاتها ، وطرق صوتك مسامعى .
أنت و « الفكر » ستبقيان فى الذاكرة وفى القلب أبد الدهر .

(*) هذه خواطر للسيدة بشيـرة حسيـن غديرة سجلتها وفاء لروح والدها الذى كان قارئا مواضبا على مجلة «الفكر» فأوحت اليها الذكرى الثلاثين لصدور « الفكـر » هذه الخواطر فأحببنا نشرها كضرب من الكتـابة العفوية الصادرة عن شعور بالألم ممض وتعلق وفى من الآباء للأبناء .

تونس الحبّ .. تونس الياسمين ..

شعر: أحمد صنديد

تفيأت دوحك ظلا ظليـــلا   وعشت بحبك دهرا طـويلا
حملته فـي أضلعـي فـي كياني   وخفت عليه النسيم العليـــلا
وللحب يا فتنتي ألف معنـــى   وعلقت حبك . لا .. لـن يـزولا
وللياسمين هنا كـم عـريش   يضوع شـذاه فيشفي الغليلا !
أيا مجمع العاشقين .. النشاوى   تغنـوا بحبك جيلا فجيـــلا
أيا نغمة الوصل وَآحَ الأمـاني   فوصلك كان المنى والدليلا
ولا يجمع الحب في القول إنـا   أردناه فردا جرى سلسبيـــلا
روى الياسمين عن الجلنـار   بأن البديل بـدا مستحيـــلا
أيا زهـرة عطرت كل فـج   ويا نبع حب سمعنـا الهـديلا
عنادلنا لم تزل في انتشـاء   تردد للنـاس لحنا أصيـــلا

* * *

أيا تونس الأنس منك ارتوينا   وللورد منك قصدنا السبيـــلا
ثراك يضم رفـاتي إذا مـا   أمـوت أصير ترابا مهيـــلا
يحلـل في التـرب جسمي جميعا   وأصبح فـي الأرض نبتا فسيلا
ليُصبح في الواح عش نخيـل   بَـدَاكم يما يغني يناغي مثيلا!
وزيتـونـة عمرت بـبـلادي   وزيتٌ لها قد أضـاء الفتيـــلا
أيـا تونسَ الياسمين اعتـذاري   اذا قصر الشعر فيك قليـلا

حوار المبادئ والقيم

الأستاذ محمّد مزالي والتجذّر في الذات

بقلم: علي الشملي

دأب أصحاب المبادىء الثابتة والقيم الراسخة على أن يؤكـدوا مـواقفهم وأفكارهم ولا ينقضوها أبدا أو يناقضوها . ونجد فى طليعة هؤلاء الاستاذ محمـد مـزالى الذى ما انفك يسخر كل المسؤوليـات التى تحملها ويتحملها سياسية كانت أو فكرية أو رياضية لخدمة نفس المبادىء ونفس المثل التى آمن بها وسخر لخدمتها وتركيزها واشعاعها كامل وقته على حساب واجباته نحو نفسه ونحو عائلته ووجد فى كل ذلك متعة لا تضاهيها متعة ولذة روحانية تتجاوز كل تصور ، وهل أنبل من انسان حينما شعر فى يوم 25 أوت 1965 بشىء من الاختناق وخيل اليه انه سيختنق ويموت كانت الفكرة الاولى التى راودته فى تلك اللحظة هى الخوف على مآل مجلة ــ الفكـر ــ وبالتالى الخوف على الثقافة وعلى الانجاز الادبى التونسى الذى ظهر بظهور بشائر الاستقلال وما زال يبرز صامدا فى خدمة الثقافة العربية .

إن ما أردت من هذه الاحاديث التى اخترتها من عمق أقـوال وكتابـات الاستاذ محمـد مـزالى هو التذكير والتأكيد على ان النهج الذى اختاره مؤطرا بالمبادىء والافكار التى لم يناقض بعضها بعضا مطلقا،وهي مستندات ثقافية لم تؤثر فيها الاحداث ولا الاشخاص ولا حتى المؤامرات الفكرية وهى قيم جاءت فى كلمات واجابات متشابهة بالرغم من تباعد المناسبات التى قيلـت فيهـا واختلاف الظروف التى حفت بها .

ان اختيار صيغة الحوار المستمد من ذاكرة الايام أملته ارادة تجسيم العلاقة الروحية التى حرص الاستاذ محمد مزالى على ان تجمع دوما المثقفين وقد سخر لذلك مجلة « الفكـر » وهى علاقة تتأكد اليوم وتتجدد بمنـاسبة الاحتفـال

بمرور ثلاثين سنة على صدور هذه المجلة الغراء وهى مناسبة لا اعتقد انه فى امكان أحد ان يضيف اى جديد حول ظروف تأسيسها والاسباب التى دعت الى ذلك فشهادة المجلدات الثلاثين أبلغ من كل وصف غير أن هذا الاحتفال يفرض التذكير بصفة هامة وهى أن الاستاذ محمد مزالى لم يتحول عن الخصال والافكار التى ميزته منذ صدور العدد الاول من مجلة « الفكـر » بل ان المتتبع لمسيرته الطويلة الموفقة ، وكم يسعدنى ان اكون أحد مواكبى بعض مراحلها . يدرك ان المجلة لم تكن الا تجسيما للافكار والخصال التى عددهـا الاستـاذ البشير بن سلامه الذى حينما سئل عما اثبتته المجلة للاجيال لاحظ انها اثبتت أولا وبالذات انه بالامكان ان تدوم مجلة وان يطول عمر مدرسة هى ملتقى الادباء الذين يجمعهم الايمان بكل ما فيه خير تونس وخير الادب والفكر ، فهى مدرسة ايجابية فى ايمانها بالوطن وفى تمسكها باصالتها واندفاعها نحـو التقدم ، لقد أقام الاستاذ محمد مزالى الدليل بهذه المجلـة على ان التـربية التونسية ثرية خصبة وان الانسان التونسى اذا ما آمن بنفسه وانتصر على اسباب الوهن والخذلان والتهافت قادر على ان يؤسس المشاريع الادبية وأن يكتب لها طول العمر واطراد الفوز وقادر بالخصوص على ان ينتج انتاجا ادبيا اصيلا يمكن ان يساهم به فى اثراء الادب العربى . هكـذا يؤكـد الاستـاذ البشير بن سلامه موقف مجلة «الفكـر» وهو الموقف الذى من أجله كان هذا الحوار الذاتى المستمدة أسئلته وأجوبته من كلمات ومواقف تجذرت فى الماضى البعيد والقريب وهى الآن تتصدر الحاضر الذهبى وتتحفز للانطـلاق نحـو المستقبل الوضاء ...

س : أنتم انسان متميز بالحركية اضافة الى عديد الخصال الاخرى هل يمكن اعتماد هذه الحركية لتغيير الواقع ؟

ج : الحركية تعنى التمرد ضد ما هو ليس عادلا ليس جميلا ، ليس مطابقا للحقيقة يعنى أن تكون لنا قوة الشخصية والطاقة الضرورية للنضال والكفاح ولتغيير ما يسير كما لا ينبغى ، ما لا يطابق أحلامنا ذلك هو محرك التاريخ .

س : كيف تقيمون العلاقة بين الماضى والمستقبل والمثل الأعلى فى الحياة ؟

ج : انه بدون الانتماء الى ماض وبدون الوفاء لجانب من حياتنا لا نكون أقوياء بما فيه الكفاية لمواجهة المستقبل الـذى هـو المصير ، فالانسان فى الاصل يصبح بخلقه للمستقبل هو ذاته فهولا يقطع صلته بالحاضر ولا ينبغى ان تكون هناك قطيعة بين ماضى الوعي ومستقبله ، واضافة الى ذلك فانـه من قبيـل

التصنع ان نحوجز الزمن وان نوهم بانه بين الماضي ، بين الامس واليوم أو بين اليوم والغد لا بد من ايجاد القطيعة أو فجوة لقد قيل : ان الماضي ـ كل ماض ـ كان مستقبلا كبيرا .

س : دعوتم دائما الشبان الى ان يعيشوا الحياة الحق وان يكون لهم مثل أعلى وان يرضوا بالألم من أجل تحقيق ذلك المثل ، ما هو تصوركم للحياة الحق ؟

ج : إن ـ رامبو ـ يفرق بين الحياة الحق التى اليها نطمح وبين الحياة الحقيقية أى الحياة الواقعية التى بها نصطدم وعليها نتمرد ودعوة الشبان الذين يوجد المستقبل امامهم لا ورائهم الى ان يعيشوا الحياة الحق اى ان يحلموا وان يكون لهم مثل أعلى جاءت اعتبارا الى ان هذا يمثل اعظمة الحقيقيه لان الحياة المادية حسب مثل صينى قديم أشبه بحياة الضفادع تعيش تحت الماء فلا ترى الا جزءا من السماء ، والانسان مطالب بالتحمس لما يعمل وبمحاولة اثارة ذلك الحماس وتهذيبه بضرب من الزهد الفكرى بضرب من الانضباط فى منطق الفكر اذ بدون حماس لا يتوفر ما يكفى من الطاقة لتغيير الواقع ، لا يتوفر ما يمكن من الحوافز لنلقي بأنفسنا فى الماء . لمواجهة العراقيل والاخطار وللمجازفة .

س : يرى بعضهم ان السعادة حل وسط بين عوامل مختلفة وانتم ترونها توازنا فما هو تقييمكم لمفهومها الصحيح ؟

ج : السعادة ليس شيئا قارا فهى التوازن بالفعل ولكنه توازن غير قار يتعين التمكن من بنائه عن طريق عوامل بدنية وعوامل نفسانية واجتماعية . ان كثيرا من الناس بؤساء لانهم مرضى جسمانيا وقد تحدث جان جاك روسو كثيرا عن هذه النظرية القائلة : بان الصحة الجسمية والرياضة البدنية من عناصر هذا البحث عن السعادة وكثير من الناس ينسون قولته الشهيرة : « كلما ازداد الجسم قوة اطاع اكثر وكلما ازداد ضعفا أمر أكثر » فالسعادة طلب ولكنها أيضا نتيجة وانضباط ، نتيجة مجهود ضاغط على الذات فهى اعتدال يحافظ عليه بفضل جدلية يومية بين التصور والواقع أى بين الحلم والممكن .

س : يقول أبو العتاهية : لدوا للموت وابنوا للخراب ويدعو أبو نواس وعمر

الخيام الى التغلب على ضيق الحياة بالسمو والعبث واغتنام الحياة قبل فواتها وهو ما يفعله اليوم كثير من الشبان فهل هذه من مؤشرات الظفر بالسعادة ؟

ج : كلا . وما انغماس هؤلاء في التمتع الا دليل فشلهم ذلك ان الانسان يظل تائها ما لم يحركه ايمان فهذا معنى ان الحياة عقيدة وان الانسان المؤمن تزول حيرته وشكه وان الحياة الاجتماعية هي مدار الايمان ومحور العبادة باعتبار الانسان غاية ووسيلة وقد أكد الاسلام ان خدمة الناس والالتزام بقضاياهم عبادة ، فالسعادة تكمن في استشفاف الحقيقة واعلانها وفي العمل على تغيير الحياة والبشر لرفعهم الى الكمال .

س : كيف ترون معالجة حيرة الشباب لجعله يتوق الى الفعل ولا ينساق مع ما دعا اليه أبو نواس وأمثاله من ضرورة التغلب على الضيق باللهو ؟

ج : ينبغي الرجوع الى مصادرنا وخصائصنا الحضارية ولا يكون هذا العلاج الا باعطاء الحياة محتوى ومفهوما ويتعين ان نبدأ بالجهاد الداخلي حتى يتبلور تصورنا للخير وطرق الوصول اليه ، يجب اذن ان نروض الشباب بتدريبه على مقاومة الانانية ونوازع الجسد وان نخطط لذلك وفق ما نخططه لاى مشروع آخر كما انه على الاولياء ان لا يظنوا بأن مهمتهم تقتصر على الانجاب والايواء والطعام والاكساء وتدليل الابناء والاعتقاد بان أمر تربيتهم موكول الى المدرسة فقط ، بل عليهم ان يتحاوروا معهم وان يكونوا لهم بسلوكهم أسوة حسنة .

س : يواجه الانسان اليوم اخطارا جسيمة من جراء انعدام التوازن والتطابق بين التقدم العلمي والتقني والتكنولوجي من جهة وبين الارتقاء بالضمير الى مستوى الحال ، ان صح التعبير ، فهل انتم متفائلون بمصير الانسان ؟

ج : يجب أن نكون متفائلين. بلا تفاؤل لست أدرى ان كانت الحياة جديرة بان تعاش لماذا نحيا؟ نحيا لتحسين منزلتنا لخدمة الآخرين من أجل التخفيف من الحيف ومزيد السعادة والتآخي، واعتقد ان تطور العلم المدهش قد وهب الانسان سيطرة على المادة هي من العظمة بحيث لم يتمكن الضمير من أن يرقى لها وهذا ما جعل الانسان يواجه اليوم اخطارا جسيمة من جراء انعدام التوازن والتطابق بين التقدم العلمي وبين الارتقاء

بالضمير الى هذا المستوى ، فيجب على الانسان اذن ان يتعلم اليوم ثانية وان يطلب من نفسه ، اكثر مما يطلب من العلم ، مفتاح السعادة والتعايش السلمي وشروطهما .

س : آمنتم دوما بمسؤولية الكاتب وبحريته ورفضتم ما اسميتموه ـ بتسخير الكاتب ـ للانتاج فكيف تقيمون مسؤولية الكاتب وحريته وعلاقته بالمجتمع ؟

ج: أول ما يجدر تقريره هو أن الكاتب مسؤول عما يكتبه وعما يسكت عنه لانه فرد من جماعة فى حدودها القومية الضيقة أو فى حدود الانسانية الشاسعة ولانه بقدر ما يتاثر بهذه الجماعة ويتجاوب معها ويستمد منها ويستوحيها يؤثر فيها عاجلا أو آجلا ما دام للكلمة مفعول ولومضة الفكر رسالة . فاذا شعر الاديب بمسؤوليته وأدرك جنس التضامن الذى يربطه ببيئته وعصره هل من واجبه بعد ذلك أن يتلقى التوجيه من المجتمع وينتظر التعليمات من معاصريه ويعرف قيودها فلا يتجاوزها وهل نستند الى ـ تكليف ـ الكاتب لنضع حدودا عقائدية أو فلسفية او اقتصادية سياسية لنشاطه العقلى وعمله الادبى ؟ ان تسخير الكاتب هو شر ما يهدد الادب الاصيل وينزل به الى مستوى الدعاية المحدودة والفرص المتصلة بالملابسات العارضة والظروف المتبدلة الزائلة ، من هنا فانه اذن من الصلف أو من ضيق النظر ان نصدر الحكم على هذا الاثر أو ذاك بانه يخدم أو لا يخدم هذه القضية أو تلك ، بانه ينسجم مع هذه الفلسفة او تلك العقيدة أو هو لا ينسجم ، والخلاصة أن الكاتب وان كان مسؤولا أمام التاريخ فهو حر فى عملية الخلق والابداع ولا تحتمل حريته اى قيد فهى كاملة مطلقة او لا تكون .

س : هل تعتقدون أن التأثر بأهداف معينة يلتزم الكاتب بخدمتها هو التزام طبيعى أم هو نوع من التسخير الذاتى لفائدة اغراض معينة ؟

ج : يجب التمييز بين الالتزام الطبيعى بخدمة البشرية ونشدان القيم ، هذا الالتزام الذى لا يكاد يشذ عنه كاتب اصيل منذ اقدم الحضارات الى اليوم ، وبين التسخير الكلي الذى يمسخ الاديب ويطمس فنه ويخمد جذوته ، ان الاديب مسؤول ولا يكون أصيلا ولا تبقى آثاره على وجه الدهر الا اذا التزم خدمة الانسان ولكن ليس لاحد أن يوجهه وجهة دون اخرى ويسخره لاجترار شعار دون آخر وهو ملتزم ولكن

لا يمكن أن يعرف أحد الطريق الواجب سلوكه فمنزلة الكاتب شاقة حقا ولكنها مشرفة مقدسة اذ لا يمكنه ان يكون تابعا او منفذا وهو في حقيقة الامر لا يحتاج الى الحرية لانه هو باعث الحرية ورائدها ، انه في جوهره حرية وتحرير .

س : ماذا يمثل التجديد في الادب بالنسبة اليكم ؟

ج : التجديد في الادب وفي غير الادب مظهر من مظاهر الحياة الانسانية وتوق الانسان الى اسلوب في الحياة أحسن باعتبار ان الانسان يحيا بحسب ما اعتقد انه الحياة الفضلى اذ التجديد وظيفة حياتية من وظائف الانسان المدعو الى ان يحيا حياة الكرامة ، حياة الانسانية الحق ، والعبرة ليس بالجديد أو بالقديم بل العبرة بالمحتوى والاسس وكذلك بمستوى صاحب الاثر .

س : أخذت «الفكر» دوما بيد الناشئة واعانتهم على تحسس الطريق المستقيم فهل هذا تحت شعار التجديد في الادب ؟

ج : حرصت «الفكر» على الاخذ بيد الناشئة لمساعدتهم على التقدم في درب صعب ولاعانتهم على قطع مراحل في طريق الجودة والتوفيق في ميدان التجربة الادبية وربما في ميدان الخلق الادبي وكان من نتيجة هذا التشجيع ان كثر عدد الذين يقرضون الشعر ويكتبون القصة والمقالة والبحث الادبي ، وقد اعتمدت المجلة تقييم الانتاج الادبي لا بحسب المدارس والاتجاهات وانما بحسب ما يكتسبه صاحبه وما يختص به في مجال الخلق الفكري والادبي . فمجلة « الفكر » لا تمثل فئة معينة وانما هي عائلة تجمع كل الغيورين على الادب التونسي والعاملين من أجل الثقافة العربية في هذه الديار ، ومن هذا المنطلق ساعدت المجلة المواهب الطريفة اذ يجب ان يعبر كل فرد حسب عبقريته الخاصة وتبعا لحساسيته الذاتية سعيا وراء هدف واحد وخدمة لقضية واحدة ناضلت من اجلها «الفكر» وهي تأكيد الذاتية القومية وحضور الثقافة التونسية وازدهارها .

علي الشملي

تونس الحُبّ .. تونس اليَاسمين..

شعر: سُنيا يوسف

شذا الياسميـن يفـوح أصيـلا فينساب نبع الهـوى سلسبيـلا
أيا تونسَ الحب فيكِ .. إليكِ طويت الفيافيَ ميـلا فميـلا
أتيتكِ راكضـة فيِ الـدروب وغيـر هـواك بـدا مستحيـلا
وعشت أفـدّيك أنت بعمري سلمتِ وعشت ودمت الدليلا
أيا جنَّـة الصحب يا منتدانـا عشقت سماءَك عـرضا وطولا
فأنت الترانيم مادمت أحيا وما دمت أحمـل قلبا نبيلا
هنا الياسمين تمـاوج عطـرا وطيبا وأنسا وظـلا ظليـلا
سلـوا البحـر والمـوج عنهـا سلوا الزهر حين يَزِين السهـولا
وشدوَ العصافيـر فيِ كـل غصن وهمسة حلم تهـز النخيـلا

* * *

أيا تونسَ الياسمينِ سلاما لغيـر ثـراك سئمت الـرحيلا
ألفت الزياتين في كلّ وادٍ وكرما بعينيَّ ظلّ جميلا
ألفت نسيمكِ .. ظـل حبيبى أُجَنّ إذا غـاب عنيِ قليلا

رسالة متأخرة إلى رئيس تحرير مجلة "الفكر" بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيسها

بقلم : سمير العيادي

كان الفتى فى الغربة فى شتاء 1968 ...

وكان فتى نحيلا يعانى آلاما مفصلية حادة فى زحام ضباب شتائى باريسى ويمشى . ملؤه الحنين . « هل يذكرنى أهلى هناك تحت لفح الشمس ؟ هل يذكرنى أهلى هناك تحت لفح الشمس ؟ » . شتتته الدراسة والعمل المضنى عند تاجر جبن وحليب وكذلك مشاهدة الافلام ومطالعة المجلات والجرائد والكتب ومعاينة واجهات المغازات المحملة بملايين الصور التى يشتهيها ولا ينالها «من يذكرنى؟» .

منذ شهر أمسك قلما وكتب . حنينه الى أمه والى وطنه دعاه الى تخطيط ملحمة ذات أنغام وصور . صرخ فى النهاية : «نحن هنا يا أمى» . كان ذلك عنوان قصته الاولى التى وضعها فى ظرف كتب عليه عنوان الوطن ، عنوان الحوار مع الوطن ، عنوان اثبات الهوية فى دفتر الوطن ، عنوان مجلة كانت صلته الوحيدة اذ ذاك بمعانى الوطن ... مجلة «الفكر» ...

ماذا كتب ؟ ولماذا ؟ وهل لفتى فى العشرين من عمره متغرب منعزل أن يفيد بكلام أو كتاب ؟ «ان هى الا جرأة لا أدرى ما تبعتها» . كان يذكر بعض أقصوصات وأشعار هربت منه الى صفحات جرائد ومجلات . بعض القصص الاخرى أرست فى صفحات «قصص» محملة بأنوار «شمس متقلبة» ، فرحب بها فتيان «نادى القصة» وشيخهم ورحبوا به . لكنه كان يرهب المغامرة فى أسفار «الفكر» . فتى صغير السن يكتب كلاما . منمقا حينا ، موقعا حينا

آخر ، طريفا فى كل الحالات • ولكن «الفكـر» يتطلب «التجـربة والـوعى والنضج» على حد تعبير صديقه «توفيق» •

كان «توفيق» شاعرا همشته الفذلكات الاذاعية ، كاتبا طوحت بـه أرزاء العشق والغربة ، ممثلا لا يجد مسرحا الا فى البيت الذى اكتراه وراء ملهى باريسى حين يجلس الى المائدة مع الفتى • وكان الفتى يكتب ولا قارىء الا «توفيق» •

ـ هل تعتقد أنهم ينشرون قصتى ؟

ـ لعل ••• ربما ••• ليت ••• ولم لا ؟ ••• فى بريد القراء بلا شك • على كل حال أكتب .. وأترك .. فهذا يلهيك عن مغريات باريس ..

فى زحام ذلك الضباب المتكاثف كانت آلام الروماتيزم تشتد ساعة بعد ساعة والفتى يمشى فى الثلج باحثا فى كشك المجلات العربية عن اسمه فى أحد الفهارس • «ان هم نشروها فان لى أشياء أخرى اريد ابلاغها الى الوطن• وان هم لم ينشروها فانى أعود الى المسرح ممثلا أتكلف التبليغ عن كتابات غيرى •••»

قال «توفيق» مازحا جادا كعادته :

ـ هم نشروا قصيدة «الاوديسية» لصديقنا «علي» لان أستاذه «جعفـر» الذى افتكها منه افتكاكا عضو فى أسرة «الفكر» • أما أنت ؟ فمن يعرفك ؟ ولنفرض أن قصتك أعجبتنى أنا شخصيا ، فهل ذلك يكفى لاعتبارك علما يحق وضع اسمه بين الاسماء التى نقرؤها فى « الفكر » ؟

ـ أنا لا يهمنى اسمى • قال الفتى : أنا يهمنى أن أحاور أهلى ووطنى ، أن أجعل حنينى يفيض عليهم حتى لا ينسونى أو ينسوك • أنت تـدرك أن أقسى ما نعانيه نسيانهم أو تجاهلهم •

ـ اكتف برسائل أصدقائك •

ـ لى كلام تتعدى معانيه الى أكثر من كل الاصدقاء • أريد مجالا أوسع من صفحة رسالة •••

احتد الالم فى مفاصل الفتى عندما أدرك أن «الفكر» لم يكن فى الكشك • «لعل العدد الاخير تأخر • أو لعل كمية النسخ القليلـة جـاء من خطفهـا فى

الصباح الباكر، • ورغم الالم والضباب وندف الثلج العابثة جر الفتى رجليه عائدا الى البيت حيث كان «توفيق» ينتظره • • •

كان بيد «توفيق» ظرف • وفى الظرف مجلة • ومع المجلة رسالة • صاح «توفيق» •

ـ نشروها • أجل !! هذا عنوانها وهذا اسمك مرسوم على الغلاف • وهذه رسالة من رئيس التحرير يهنئك ويدعوك الى المزيد من الكتابة • ابتسم على الاقل !

ظل الفتى طوال اليوم مبتسما رغم رعونة رمادية تلف الشوارع • ولم يعرف «توفيق» ان كانت الحمى أو الفرحة هى التى أغرقت الفتى الممدد فى الفراش فى العرق وفى الهذيان • والحقيقة أن الفتى فى تلك الساعة كان رغم زعم الطبيب بأن تورم القلب من جراء الروماتيزم سيقضى عليه ورغم الالم والوحشة والغربة والضباب ورغم الخبل الذى كاد يجرفه وهو لا يصدق ما قرأ ورغم .. ورغم .. ورغم .. يشعر بأنه يولد ...

كان صوتا نكرة فى الضباب • ألهمته تلك الرسالة المضاة بحبر أخضر كيف يكتب ويكتب للحوار مع الاهل والوطن على مدى الايام • انقشع الضباب والصوت لم يسكت • • •

قال «توفيق» :

ـ سى «البشير» لا يكتب الا بالحبر الاخضر • هل تذكره عندما كان يرأسنا فى «الشبيبة المدرسية» ؟ • • •

فى الليل هدأت الحمى . نهض الفتى الى المكتب . أمسك قلما ، كتب : «الى السيد رئيس تحرير مجلة الفكر المحترم • • •» لكن كل قواميس العالم على اختلاف لغاتها واشتقاقاتها لم تسعفه بلفظ يترجم عن تقديره وامتنانه • • •

سمير العيادى

تونس الحب .. تونس الياسمين ..

شعر: نزار العريقي

سأحرقُ رُوحيِ عليك فتيلا   وأُبعثُ توّا إليك قتيلاَ
أيا مَن عشقتُك في ذاتِ يومٍ   فكنتِ الطبيبَ وكنتُ العليلا
وَقلبِي يجدّفُ في بحر نُورٍ   بعينك يَسبَحُ دَهرا طَويلا
رَأَى نَارَ قرطاج تزهرُ فيهَا   فصارت لروح الهلوع دَليلا
فليلك أمسى منارا وليلِي   يُسَمَّى بنورك : فجرا جَميلاَ
تولدَ رسمُ الهوَىَ من جُذُوعٍ   بأرضِكَ يقطرُ حتى يَسيلا
فيبعث في القلبِ روحا ويضني   عليك الجمالَ ويَهديِ السَّبيلاَ
بحورٌ من العشقِ فيِك ادلهمَّتْ   فأمسيتِ أنتِ لنا أرخبيلاَ
أصارعُ موجك بحرا وكم قدْ   يُصارعُ قلبيِ البحورَ قتيلاَ !
تحملت فيكِ العذَابَ وأرجُو   مزيدا فذقتُ الهوانَ ذليلاَ
لأجلك يا من خلقتِ المعانِي   فصنتِ الأراضيِ وخُنتِ الدخيلاَ
أأنسى حضارة تونِسَ يَوما   ووزن الحضارة صار ثَقيلاَ ؟
أأنساكِ أنتِ التيِ كنتِ ذكرى   وهلاّ أرَى للعلوّ بَديلاَ ؟
أأنسى جدوديِ ؟ أأنسى تُرابي ؟   أأنسى شذا الياسمين قليلاَ ؟
أأنسى مبانيِ أرضٍ تعالتْ   لِتغرس زيتونة أوَنَخِيلاَ
أرى زمن العثراتِ دَمَارا   سنفقد مثلك فيِه طَوِيلاَ
وكيف يَجُودُ الزَّمَانُ بمثلٍ   ودستوره لا يَرُومُ المَثِيلا

المتلوى 85/7/30

الفكر ..!

بقلم : ناجية ثامر

خير الكلام ما قل ودل .. ولقد طلبتم أن تكون الكلمات التى ستلقى بمناسبة الاحتفال بمولد مجلة الفكر الثلاثين موجزة ، بدون تطويل ولا زخرفة، وهذا طلب فى حده معقول وجميل ، ولهذا فسأسعى للايجاز ولن اطيل ، اذ كم من الكلمات الطويلة لا تتضمن الا الحشو والتنميق ، وكم من كلمات قصيرة تمتلك اردية حريرية شفافة من الحقائق والجمال والتبحر العميق !.

ولدت ــ مجلة الفكر ــ مثل كثير من المجلات الادبية ، ولكن هناك مجلات ــ كالمواليد ــ تموت بعد فينة قصيرة او طويلة ، واخرى أقل عددا ووفرة تنمو رويدا رويدا وتزدهر ، ويتضخم جذعها ، وتتفرع أغصانها الخضراء المورقة وتتكاثف ، وبمرور الاعوام يكبر حجمها ، ويتسع ظلها ، واذ بها تصبح موئلا للمتعبين ، ومحطة للمسافرين ، وملجأ للمرهقين ، ومتعة للمتنزهين التواقين الى الفيء والظل المريح !..

والفكر ، ما هو الفكر ؟ والانسان من هو لو لم يكن متصفا بالعقل والتفكير؟. ولكن ليس كل الناس يفكرون بتعقل ورصانة ، وليسوا كلهم بحق مفكرين!.. وهكذا المجلات التى يعيش بعضها ، والاكثرية منها لا تكاد تتنفس حتى تلفظها الحياة !.. كتب علينا الفناء ، على البشر جميعهم ، بما فيهم من سام وحقير، ورفيع ووضيع ، وكذلك على الحيوان والنبات ، وحتى على البناء والحجر ، ولو بعد قرون ... شيء واحد يبقى خالدا لا يفنى ، وهو الفكر !. الانسان يموت ، اما الفكر فقد كتب له الخلود ، وخاصة عندما يرتفع عن كل سطحى وزهيد فى الوجود ، ويكون دأبه السعى الى الارتقاء والسمو !..

فى عصرنا هذا رأيت مجلتين نالتا اعجابى واعجاب الكثيرين بدون شك ، وحازتا على تقديرى واحترامى وهما : الفكر ، والاديب .. فلا صور ملونة ،

ولا صفحات مزوقة ، ولا اعلانات مغرية تغرى البصر ، وتستحثه على الشراء للاطلاع ، بعد ان يتملكه الفضول والاغراء !.. لا شيء في هاتين المجلتين ، الا ما يدور في نطاق الفكر من شتى الآراء والنظر ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، فيما يهم هذا الآدمي الساعي على قدميه فتارة ينظر الى ما امامه ، وتارة اخرى يرنو بنظره الى السماء يستشف ما تصوره هذه الحياة في شؤون وشجون ، بقى ابن آدم حائرا أمامها ، عاجزا عن أن يستطلع ما غمض عليه من اسرارها ؟! ..

المجلة التى لا تعتمد الا على القلم المبدع الرصين لا تعيش الا بتضحيات جلى قل من يقدم عليها ، رأينا ـ صاحب مجلة الفكر ـ الاستاذ الاخ محمد مزالى يتحدث عن تضحياته فى سبيلها ، وهو يهتز تأثرا وفخرا لما قاساه فى سبيلها ، بدون ندم ولا حسرة ، من أجل ان تعيش ، وأحاديثه تشبه مجلته برضيع جاء الى الوجود بقوى ضعيفة ، ومادة ضئيلة .

وكان لابد من تثبت صاحبها ، بكل ما عنده من عزم وجرأة وتفان لانقاذ الرضيع العزيز من الموت !.. سمعت أمثال هذه الاحاديث مرات عديدة ، وتاثرت لها أعظم تأثر ، وفي كل مرة أذكر كذلك مجلة الاديب التى بقيت كأختها ـ الفكر ـ تحمل افكارا وافكارا بدون اى اعتماد على الزركشة والتزويق . وقد باع صاحبها مكتبته الضخمة وكتبه الثمينة لتعيش !..

الفناء قدر محتم على الجميع ، الا على الفكر ، فالفكر باق حتى بعد ذهاب صاحبه ، وهو كالنور يفيض بهجة وسناء ، النور القدسى الذى يحث الانسان على فعل الخير والعمل الصالح والبناء والتشييد لا من أجله فقط ، بل كذلك من أجل الآخرين !..

مجلة الفكر ، هذه المولودة الغالية ، التى نمت وترعرعت واصبحت فتية رائعة ، بفضل الرعاية الدائمة والتضحيات المستمرة ، هذه المجموعة من الصفحات التى تصدر كل شهر بلونيها الاثنين ـ الابيض والاسود ـ وكأنهما يعبران عن دوام الحياة ، النور والظلام ، الزهو والترح ، المرح والانقباض ، الابتسام والعبوس ، الشروق والغروب ، وبعبارة أوجز ، عن الليل والنهار!.. هذه المجلة نحتفل اليوم بعيد ميلادها الثلاثين ، ونحن نفكر : سنرحل عن هذه الدنيا ، أما هى فلها المجد والخلود !!...

ناجية ثامر

كلمات منثورة

بقلم: البشير المجدوب

الأموات الأحياء عبثا تبحث عنهم تحت الثرى ، لا تسعهم القبور ولا تحبسهم الحجارة ، أحرار طلقاء ، مكانهم القلب أبدا فيه يحيون ، لا غيبة لهم ولا سكون .

***

الكيس اللبيب يسافر فيتطهر ويتجدد ، وقد نفض عنه همومه وأكداره ، وصفت بصيرته واتسع كيانه ...

والاحمق سفره وهم خلب ومتعة غرور يحمل حيثما توجه مشكلاته وحماقاته كأن لم يتحول عن أرضه ، ولم يخرج من عقر بيته .

***

قلوب كالحجارة لا تني تأكل ذاتها ، أبدا تزداد يبسا وصلابة حتى تطير شظايا ، حقدا وغيظا !

***

الفن لهو رفيع .. لعب يبرر نفسه ويفرض ذاته فى كل حين .. حتى فى أحلك ساعات الجد ، وأشد لحظات الخطر تأزما وقساوة .. لعب صميم هو عين الجد ، الا أنه جد قلمت أظفاره ، وروض ترويضا ، فهش وبش ، ونطق وترنم ولربما رقص أدبا وظرفا ، فى حين يتآكله الالم ، يكاد يشهق بالدمع ، فيصده الاباء والعزة والصمود .

***

من الاصدقاء من يقطع صلة الود بينك وبينه ـ لسبب أو لغير ما

سبب ـ فيميتك حيا ٠٠ اعداما لا رجعة فيه ، كأن لم يعد البتة لك وجود عنده ، بل كأنك لم تكن أصلا ، ولا كنت يوما فى الاحياء .

ومن الاصدقاء من تبقى مودته ناضرة فتية ، بعد عشرات السنين، دفئا وحرارة .. طلاقة واندفاعا ، جياشة كأنها النبع الفوار ، تطاول الزمن ، وتتحدى الموت والفناء ٠

***

اللذة فى القلب أولا ؛ فيه ترتسم صورتها قبل أن يستقر طعمها فى اللسان أو سواه . فلا وعي بحق ولا عمق ولا تركيز بدونه .

***

لم تصنع المرأة صياغة الرقة واللطافة ، والعطف والدماثة من أجل أن تزدوج بالرجل وحده ، وتتحد به تماما واكتمالا ؛ وانما نظر خاصة الى الطفل .. عصارة كيانها ، تغذيه بدمهـا ولحمهـا ، وتهبه قلبها وصميم مهجتها ، فيخصب وجودها ، وتمتلىء به حياتها وتزدهر حتى حافة القبر .

فالمرأة أم قبل أن تكون زوجا أو خليلة أو صديقة . فى الامومة ذروة شرفها وعظمتها ، فى الامومة تمام انسانيتها وكنه قداستها .

***

ارسم على كل وجه تراه اسم الله تر الله فيه !

البشيـر المـجدوب

قصيدة الصحراء

للشاعر الانقليزي : سيدناي كيياس
تعريب : جمال الدين حشاد

سيدناي كيياس شاعر أنقليزى ولد فى 27 ماى 1922 مات وهو فى الواحد والعشرين من عمره .

أنقلترا تعرفه كأعظم شعرائها ـ الاعظم ربما فى أواخر الحرب .

فى 30 افريل 1943 ضاع سيدناي فى الحدود التونسية فى صحراء النار كما سماها ، حيث كتب آخر قصائده «الصحراء» «The widerness»

الشاعر الشاب شارك فى الغارة لافتكاك ساحل 133 قرب سيدى عبد الله وقد خرج عند الصباح فى جولة عسكرية تفقدية فلم يعد ، وقد دفن فى مقبرة ماسيكولت «MASSICOLT» سيدناي هو شاعر الموت ، شاعر الانسانية فهو صوت الشعب ، صوت حضارة كاملة ذلك أنه قال فى رسالة مصاحبة للقصيدة « الصحراء » : « أنا صوت الشاعر يتحدث الى الانسان بصدق كما لو كان هو يتحدث الى نفسه » .

فهو يمزج اللغة الشعرية الملونة بألوان التعب النفسى بصور ابداعية ايحائية تحاول بكل براءة ايصال الفكرة للقارىء بدون تعقيد وفى شكل نرجسة بيضاء تحتفظ بايقاع عذب ففى قصائده قد نجد ألفاظا بسيطة غامضة لكنها تحمل نفسا جماليا ، ابداعيا وتواكب سر القصيدة بشكل منسجم متناسق ...

---

(1) الصحراء : قصيدة طويلة للشاعر تضم خمسة مقاطع وفى هذه المحاولة ترجمت المقطع الاول والمقطع الاخير من القصيدة ، الصحراء هى من أواخر القصائد التى كتبها الشاعر وهى تبرز الحالة النفسية فى أواخر حياته .

(1) المقطع الاول :

صحراء الحجر الاحمر
ستكون موطنى
هنا حيث الريح تشق الروابى الملتوية
وحيث الحجر يسقط
ممتزجا بصوت الرعد
أنظر الى الشمس المسلحة بالاظفار
وأفتت الحجر الصلد
النبات الشائك ذو الاغصان السبعة
لا يعرف أبدا خمرا
وأرجلى الدامية
يقدمون الدليل
الحجرات الصلدة تقول :
تحمـل

الريح تقول : تابع طريقك
والشمس تقول : سأمتص عظامك
وادفنك

(2) المقطع الاخير :

البشرة تحترق
ونار البشرة تشتعل بعنف
فى الاعضاء الحية :
نار باردة فى الدم
اذن يجب أن نتعلم ان نحيا بلا غـذاء
الحب

نشاهد السماء بلا عصافير ، والريـح
لا تحرك الورقات ، ولا تحـرك ميـاه
البحيرات الصغيرة
نترافق سويا فى الصحراء
البشرة هى النار
باردة
ولكنها النار
رجعنا فى الميعـاد وشاهـدنا العـذق
يحترق تحت شجرة ملأى بالفواكه
البشرة هى النار
طبل سالومون ايقل سيمتلأ بالتراب(2)
وتهترىء أقدام الراقصين الناعمة
ونغطى المرأة الجميلة بغطاء نارى
نرحل الآن لكن يجب أن يتبعونا
فالبحيرات تجف
والشجرات تسقط
وصحراء الحجر الاحمر تنادينى
سيجدون من تاخروا فى الحـديقة ،
وطريق الزمان ليس ببحيـرة ولكنـه
مختلس أرعن ، لا يرضخ لاحد
البشرة هى النار
باردة
ولكنها النار
البشرة هى النار فى هـذه الصحـراء
النارية التى هى موطننا .

---

(2) سالومون ايقل : SALOMON EAGLES

الدينار

شعر: عبد الله الزناد

دغدغ الناس وناما   فانبروا صرعى هياما
ومضوا فى البحث حتى   طأطأوا الرأس قياما
كلهم يسعى حثيثا   كلهم فى البحث هاما
هكذا الدينار يغزو   عاشقا صبا تعامى
ما دروا لما تبدى   أحلالا أم حراما ؟
حل بالكف فقالوا :   مرحبا أهلا سلاما !

* * *

إنما الدينار نفع   إن مضى لا إن اقاما
ينفع الناس ويقضي   حاجة يبري السقاما
فيه عون لفقير   وسرور لليتامى
فاجعلوا منه بلاغا   وهناء وسلاما
كيف يبقى كجماد   ماكثا حيث أقاما ؟
كيف يمضي فى خمور   وقمار يترامى ؟
كيف يمضي فى خصام   يرتشي قوما لئاما ؟
كيف يمضي فى دمار   أو خراب يتعامى ؟
يملأ الدنيا شرورا   يملأ الدنيا سقاما

* * *

فاجعلوا الدينار عونا   وانفعوا منه الأناما
وابتغوا مالا تفوزوا   واجتلوا العلم إماما
وارفعوا شأن شباب   واملأوا بالمال جاما
ثروة الأمة فى ما   وفرت عاما فعاما
فيه ترفيه لشعب   عامل يبغي السلاما
هكذا الدينار يبقى   بلسما ينفي السقاما
وغنى الأمة أمن   للذى فيه استقاما
ينفع الشعب ويبني   للورى قوما كراما
لا تشحوا لا تزيغوا   وارفعوا للمجد هاما
واجعلوا الدينار نهلا   سائغا يروي الأواما
ابذلوا المال تنالوا   منه عزا واحتراما
فى زكاة قدموها   لليتامى والأيامى
فى مشاريع عظام   كي تروا قوما عظاما

* * *

والمال إن كان يوما   فى البيت ضاهى الرغاما
لكنه لو غدا فى الـ   ـخير كان ابتساما

* * *

إنما الفاقة ذل   كان كفرا أو حماما
كفكفوا دمع فقير   تبلغوا فيه المراما
وتنالوا البر حتما   من لدن رب تسامى

* * *

فاجعلوا الدينار حصنا   يمنع الشر تماما
وليكن قمة مجد   لذوي المجد ختاما

عبد الله الزناد

كتاب الفتاوى للإمام أبي اسحاق ابراهيم الشاطبي

جمع وتحقيق : محمد أبي الأجفان

عرض : محسن بن حميده

صدر بتاريخ 1984 كتاب الفتاوي للامام أبى إسحاق إبراهيم الشاطبى جمعها وحققها الاستاذ أبو الاجفان .

ومن المعلوم أن بلاد الاندلس وبلاد المغرب الاولى خلال القرنين الثامن والتاسع والثانية خلال القرون الموالية قد اهتمتا اهتماما خاصا بالنوازل فاحتفظتا لنا وللتاريخ بالكثير من الفتاوى التى أنجزها موزعة فى الكتب المطبوعة والمخطوطات بالمغرب وباسبانيا ودراسة هذه الفتاوي لها أهمية كبرى لا للتعريف فقط بالاحكام الشرعية المناسبة للاحداث الظرفية ـ وهذا هام أيضا فى حد ذاته ـ بل وخاصة للاحاطة بشخصية صاحبها وتبيين نوع اتجاهه ومنهج افتائه وموقفه من البدع المعاصرة له ولالقاء الاضواء على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالاندلس والمغرب .

وهذا ما جعل الاستاذ أبا الاجفان يهتم بجمع فتاوي الشاطبى مستعينا فى ذلك بموسوعة « المعيار المعرب » للونشريسى وبمخطوطات منها مجموعة

فتاوى وحيدة بمكتبة الاسكوريال صاحبها مجهول ومجموعة أخرى للقاضي الاندلسي أبي الفضل بن طركاط بخط الشيخ أبي خبزة التطواني .
وجاء الكتاب في قسمين :

القسم الاول في التعريف بالشاطبي وبالفتاوي عامة وينقسم الى ثلاثة فصول : الاول في ترجمة الشاطبي والثاني في الافتاء والمفتين والتأليف في الفتاوي عامة والفتاوي الاندلسية خاصة والفصل الثالث في فتاوي الامام الشاطبي : آرائه ومنهجه ومصادره وأهمية فتاويه ومصادرها والاصول المعتمدة فيها .

أما القسم الثاني فيحتوي على « مجموعة فتاوي الامام الشاطبي » تحقيقا وتعليقا وهذه الفتاوي متنوعة المقاصد دينية علمية ودنيوية عملية شخصية فردية واجتماعية اقتصادية ومنها نصيب هام في البدع والعادات يبلغ الربع تقريبا وذلك دليل على أن الشاطبي منصرف انصرافا الى مقاومة المنكرات والبدع والانحرافات وحامل المنحرفين من الاندلسيين على الرجوع الى جادة الصواب وعلى توخي المنهج الاسلامي القويم .

هذا مع أن الارباع الثلاثة الاخرى من الفتاوى لا تخلو أيضا أغلبها من هذا الاتجاه وذلك الاهتمام .

وللكتاب عدة فهارس : للابيات وللاحاديث والمسائل والاصطلاحات والعادات والاعلام والجماعات والكتب والاماكن والمصادر والمراجع .

وأخيرا الفهرس العام للكتاب .

في موكب السيرة النبوية

تاليف : محمد المختار ولد اباه الشنقيطي
عرض : محسن بن حميدة

أشرفت اللجنة المشتركة لنشر احياء التراث الاسلامي في حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة سنة 1984 على طبع كتاب « في موكب السيرة النبوية أو في بيوتات الرسول صلى الله عليه وسلم » من تأليف الدكتور محمد المختار ولد أباه الشنقيطي .

والكتاب مجموعة دراسات وبحوث قيمة مستفيضة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وفضائل زوجاته ومكارم صحابته من مهاجرين وأنصار .

ويشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أقسام :

يتناول الكاتب فى المقدمة حياة النبى صلى الله عليه وسلم من ولادته يتيم الاب الى بلوغه الرشد مرورا برضاعته فى بنى سعد وفقدانه لأمه عن سن السادسة وكفالة جده عبد المطلب له ثم احتضان عمه أبى طالب له مع الاشارة الى رعاية ربه له فى حله وترحاله والى ميله الى الخلوة والتفكير فى ملكوت السماء والارض وهجره للمجتمع الضال المنحرف من فتيان قريش كما تتضمن فى ايجاز وعمق بدء تبليغ الدعوة والجهر بها مع ما لقى الرسول الكريم من كيد ومكر وسخرية واستهزاء ويبدو فى كل ذلك حرص الكاتب على اظهار خلق النبى صلى الله عليه وسلم وشمائله مع الاشارة الى الآيات والاحاديث النبوية المتعلقة بها .

ثم يخلص الكاتب الى القسم الاول من الكتاب المخصص لأمهات المؤمنين مع الظروف التاريخية التى أحاطت بدخولهن بيوت النبى صلى الله عليه وسلم وعشرته لهن وما امتزن به من فضائل وشمائل ومواقف خالدة وجهاد فى سبيل الله تعالى .

وينتقل الكاتب الى القسم الثانى فيستعرض نخبة من المهاجرين الاولين حياتهم ومواقفهم وبطولاتهم وجهادهم ومصيرهم .

أما القسم الثالث من الكتاب فمخصص للانصار الذين آووا النبى صلى الله عليه وسلم وناصروه ودافعوا بأنفسهم وأموالهم عن الاسلام وعززوه فكان بذلك فضلهم عليه كبيرا .

والخلاصة أن هذا الكتاب فى شموله وعمقه مع ايجازه اتى تعزيزا للمكتبة الاسلامية ولنشر الدين الاسلامى اذ أن صورة عرضه وأسلوبه فى متناول جميع مستويات القراء .

محسن بن حميدة

الشخصية في جزأين ..

تأليف : الشاذلي الساكر
عرض : محمد عمار شعابنية

صدر فى المدة الاخيرة عن « الأخلاء » التى يديرها الشاعر الصادق شرف كتاب للاستاذ الشاذلي الساكر فى جزأين تحت عنوان « الشخصية » ضمن سلسلة « كتاب البكلوريا » .

والكتاب ثري بالفصول والعناوين نذكر منها على سبيل المثال : مقدمات الشخصية ، الملكات النفسية ، الروح من وجهة النظر الاسلامية ، نظريات الفلسفة فى الشخصية ، الشخصية وتعديل السلوك من منظور الجشطلت والفيمنلوجيا والتحليل النفسي والسلوكية والكرنوبسكلوجيا ..

وسأقوم بعرض وتحليل لاهم العناوين أو الفصول التى ضمها هذا الكتاب .

الفصل الاول : تحديد الشخصية

قام المؤلف فى هذا الفصل بتعريف للشخصية كما تحددها أهم المدارس الفلسفية ، ثم أبرز المراجع المعتمدة لتحديدها . وبين الخصائص التى تتفرد بها الشخصية السوية ثم علق على كل ذلك بقوله : كل شخصية سوية تحمل فى طياتها بذورا مرضية لكن السواء يكون هو الغالب عندها .

الفصل الثاني : مراحل تكوين الأنية

وقد قسمها الى ثلاثة مراحل ، الاولى وهي مرحلة اللاتغاير ، وسميت هكذا لأن الرضيع لا يميز فيها بين نفسه وبين ما هو مغاير لهـا والثـانية وهي مرحلة تبطن الانا الجسماني ، وفيها يبدأ الطفل في التمييز بين نفسه وبين « الجمادات » الخارجة عنه . والثالثة وهي مرحلة تبطن الأنا النفساني ، وفيها يتمكن الطفل من التبلور أو الانبثاق كشيء مميز يصبح موضوعـا خارجيـا بالامكان تصوره والتعامل معه كبقية الموضوعات الخارجية .

الفصل الثالث : نظريات الطباع الاساسية

في هذا الفصل استعرض المؤلف أهم نظريات الطباع التي قال بها ابقراط ولوسين وجاستون برجي وشلدون وفيولا وليون بورردال والدكتور كرمـان وكرتشمر ويونغ وايزنك .

الفصل الرابع : الشخصية من المنظور الاجتماعي

وفحواه ان لكل حضارة «نمـط» معين يثمـر بمقتضـى اختيـار بعـض الخصوصيات النفسية والاجتماعية والتأكيد عليها ، بينما يقع اهمال البعض الآخر وبالتالي فان كل حضارة تصنع نمطا من الشخصية خاصا بها .

الفصل الخامس : قياس الشخصية

يقول المؤلف : ان الغاية من قياس الشخصية هو التعرض تجريبيا ومخبريا على خصوصيات ومكونات كل من الشخصية السوية والشخصية المرضية . وتهتم القياسات بالخصائص الاساسية للشخصيـة وهي الصفـات البـدنية والقدرات العقلية والسمات الانفعالية والسجايا الخلقية . وهنالك اختبارات أحادية البعد وأخرى متعددة البعد . وأهم الاختبارات هي الاسقاطية وأهـم طرقها هي التكوينية والانشائية والتفسيرية والتفريغية والتحريفية .

الفصل السادس : الشخصية الشاذة

تعرض المؤلف في هذا الفصل للجناح المـزمن وللادمـان بكـل أنـواعه وللانحراف الجنسي وللقلق الوجودي .

الفصل السابع : الشخصية العصابية

وقع التركيز في هذا الفصل على اشكال العصاب كالقلق النفسي والقهار والخواف والهستيريا وحالات الهروب كمـا وقـع التركيـز على الشخصيـة

الفصامية والشخصية البارانوية والشخصية الدورية وختم الفصل بالحديث عن حالتى الصرع والهرع .

الفصل الثامن : الشخصية الباراسكلوجية

فى هذا الفصل تحدث الساكر عن أهم مظاهر الشخصية فى حالة الطرح الوساطى وهى : التخاطر والاستشفاف والتحكم فى المادة بدون واسطة ، والاكتوبلازم ، والكتابة التلقائية ، بالاعتماد على وصف لتجارب مر بها وسطاء مشهورون . كما تحدث عن خصوصيات الشخصية فى حالة الطرح الواعى وعلى خصوصيات الطرح الذهولى والغبطى وعلى خصوصيات الشخصية فى حالة النيام المغناطيسى ، وعرف بأهم النظريات المفسرة للحالات المذكورة .

الفصل التاسع : مقومات الشخصية وحالاتها

وقد تعرض فى هذا الفصل لمكيفات الشخصية البيلوجية ولكل وجهات النظر والفرضيات التى اقترحت لتفسير طبيعة الملكات النفسية وأخيرا تبسط فى الكلام عن طبيعة الروح فى التراث الاسلامى .

الفصل العاشر : نظريات الفلسفة فى الشخصية

وفيها تطرق الى مفهوم الشخصية وتعديل السلوك من وجهة نظر ـ أو من منظور ـ مدرستى «الڤجشطلت» والظواهرية .

الفصل الاخير : نظريات علم النفس فى الشخصية

وفيه تطرق المؤلف الى مفهوم الشخصية وتعديل السلوك من منظور التحليل النفسى والسلوكية .

وقد خصص ملحقا بسط فيه عدة نظريات جديدة لها صلة بـ «الكرنوبسكلوجيا» ابرز ما فيها ـ على حسب نظرية تقليصه ـ من عدد الحالات التى صارت عنده تسع حالات وهى حالة النوم وحالة الفصام وحالة اليفظة وحالة النيام وحالة التخشب وحالة الطرح الوساطى وحالة التسآمى وحالة الهرع وحالة الصرع .

أما الهستريا والبارانويا والهوس الدورى ... الخ . اعتبرها مجرد درجات للحالات الاساسية المذكورة . وهذه الحالات هى عبارة عن تنوع فى عمل ملكات الحس الادراكى والحس الانفعالى والذاكرة والجسد نتيجة لمد الجهاز النفسى وجزره ولتكثفه وتمططه بالخصوص. ومن الملاحظ أن المؤلف يرجع كل الملكات الى ملكة واحدة . وكل حالة هى عبارة عن مجموعة من المستويات أو الدرجات ، التى هى نتيجة لتنوع نشاط الملكات . ويقول المؤلف ان حالة النوم هى الحالة الاساسية الاولى ودلل على ذلك ، ثم كانت الطفرة بالانتقال الى حالة أخرى وهى حالة الفصام. ويعتقد المؤلف أن الطفرة لم تكن بيلوجية بانتقال ما يشبه القرد الى الانسان كما تقول بذلك الداروينية ، بل كانت نفسية أى بانتقال الانسان من حالة الفصام (أو نسبة مئوية عالية منه) الى حالة اليقظة وبعدها ستكون الطفرة التالية بالانتقال الى حالة التسامى (كما نشاهد ذلك بالنسبة لبعض الافراد) .

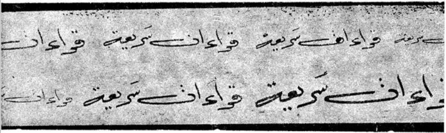
كما وضع فى خاتمة الكتاب ثبتا حصر فيه أهم المصطلحات الـواردة فى الكتاب ، باللغات العربية والانجليزية والفرنسية (أكثر من 250 مفردة) .

ولم يغفل عن وضع ثبت للاعلام .

هذا بايجاز عـرضا وتلخيصا لكتـاب « الشخصيـة » للاستـاذ الشـاذلى الساكر ، نرجو أننا وقفنا فى حصر ، أو فى مسح أهم خطوطه العريضة ، وفى الختام لا يفوتنا أن نشكر مؤسسة « الاخلاء » على هذا المجهود الذى تبذله فى سبيل نشر الكلمة الهادفة .

ننشـر فى الاعـداد القـادمة

فى ذكرى الشاعر التونسى أبى القاسم	شعر :	**عمر أحمد طه**
دور الثقافة فى التنمية الاقتصادية	دراسة :	**مبارك العمرانى**
خطاب الى أخى العربى	شعر :	**خليفه التونسى**
الشابى بلبل المغرب الكبير	دراسة :	**عبد الله المتينى**
تونس البيضاء يا أم أبى القاسم ..	شعر :	**لميعه عباس**



• « حديث عيسى بن هشام » :

تواصل دار الجنوب للنشر سلسلتها « عيون المعاصرة » فتصدر هذه المرة بتاريخ 1984 طبعة طيبة جميلة لكتاب **محمد المويلحى** « عيسى بن هشام » (أو فترة من الزمان) تلك **القصة الخيالية لكن المصورة** لصميم الواقع ومشاكله وتناقضاته وتطلعاته الثابتة **فى الزمان والمكان المتأرجحة** دائما بين الخير والشر والجمال والقبح **والعدل والحيف والسعادة والبؤس** .. والحياة والموت .

ذلك قدر الانسان ومن لا يذكر « أن المرء فى الدنيا نهب تبادره **المصائب فمع كل جرعة شرق وكل أكلة غصص ولا ينال العبد نعمة الا بفراق أخرى ولا يستقبل يوما** من عمره الا بفراق آخر من أجله فنحن أعوان المنون وأنفسنا نصب الحتوف فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شىء شرفا الا أسرعا الكرة فى هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا .. » **واعجب العجب أن ينسى الانسان الموت وهو لا يمر عليه يوم دون أن يرى من يموت** .

هذا مع صورة الكتاب القديمة الحديثة شكلا ومضمونا تصويرا ونقدا تحسرا وتطلعا فى محاولة المويلحى أن « يشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن يصف ما عليه الناس فى مختلف طبقاتهم من النقائص التى يتحتم اجتنابها والفضائل التى يجب الالتزام بها » والتى ليست فى الحقيقة خاصة **بالفترة الزمنية** التى يصفها الكاتب وانما هى صالحة لكل زمان ومكان وهذا ما يجعل كتاب « حديث عيسى بن هشام » دائما صحيحا صالحا يصور واقعا قديما قدم الزمان وجديدا جدة العصر بمحتواه الساخر الضاحك المحير المريح المتشائم المتفائل لكن الموقف المنبه المثير أيضا وبشكله الفنى الجامع المحكم لصور الفن

القصصي العربي ولبذور الرواية الغربية الحديثة بحيث يمثل نموذجا موفقا لانتاج ما يسمى بعصر النهضة وموقف ما عرف بحركة الاصلاح .

ويتصدر الكتاب تقديم للاستاذ محمود طرشونة بعنوان « حديث الوعى » ينير سبيل القارىء ويوجهه توجيها صحيحا من شأنه أن يجعله يتفاعل مع جوهر الكتاب وسحنته الفكرية والوجدانية .

• « **الرجال والرفض** » :

هذا أول كتاب صدر عن دار ابن رشد للنشر والتوزيع بعمان من سلسلة جديدة قررت الشروع فيها مساهمة فى اثراء الثقافة وايصال الاصوات الجادة الى جمهور الناس اعتمادا عليهم عن طريق الاشتراك السنوى .

وهو ترجمة عربية بقلم عيسى الناعورى تحت عنوان « الرجال والرفض » لكتاب(Uonini E No)للكاتب الايطالى الكبير ايليو فيتوريني (Elio vrittorini) الكاتب القصصي والروائى من طليعة الادباء الايطاليين المجددين فى الرواية والقصة المتوفى سنة 1966 .

وكان فيتوريني من الذين قاوموا باقلامهم العهد الفاشستي وتعتبر «الرجال والرفض» رواية المقاومة الايطالية الباسلة ابان الحرب العالمية الثانية فىمدينة ميلانو تصورها تصوير من اشترك فيها ورافق أحداثها وتنتهى بمصرع القائد النازى المكنى بالكلب الاسود ورجاله وذلك قبل أن تنتهى فترة السيطرة النازية بالبلاد الايطالية وينهزم المحور النازى الفاشستي .

ويقدم عيسى الناعورى هذه الترجمة تحية الى روح صديقه الاديب والكاتب الايطالى العملاق ايليو فيتوريني .

• « **فهرس ابن غازى** » :

صدر عن دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع بتاريخ 1984 كتاب « فهرس ابن غازى » من تحقيق محمد الزاهى .

والكتاب يعتبر من أهم فهارس المتاخرين وآخر صدى للتجاوب العلمى بين المغرب والأندلس وهو وثيقة هامة تلقى الاضواء على فترة من تاريخ الجناح الغربى للعالم الاسلامى فى ميدان العلم لما يمدنا به من لمحات تتعلق بشيوخ العلم وحيواتهم ومؤلفاتهم واهتماماتهم ومدى عنايتهم بالسند والاجازة .

• **تاريخ جامع الزيتونة** :

صدر عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله بتاريخ أفريل 1985 الطبعة

الثانية لكتيب « تاريخ جامع الزيتونة » تأليف : محمد بن عثمان الحشائشي وتقديم الجيلاني بن الحاج يحيى .

ومن المعلوم ما لأهمية جامع الزيتوني في تاريخ التعليم العربي الاسلامي وهو أقدم المعاهد التعليمية عهدا وأولها في تاريخ العروبة والاسلام قبل الازهر بمصر والقرويين بالمغرب الاقصى ويحتوى الكتيب على ترجمة الشيخ محمد الحشائشي مؤلفه بقلم الجيلاني بن الحاج يحيى يليها الكتيب الذى يشتمل على خمسة فصول هي :

الاول : في « تأسيس جامع الزيتونة » .

والثاني : في « إقامة الشعائر بالجامع » .

والثالث : في « التعليم بالجامع » .

والرابع : في « ما به من الكتب العلمية » .

والخامس : في « مالية الجامع من مداخيل ومصروفات » .

وينتهي بفهارس ثلاثة : للاعلام وللاماكن والكتب كما أنه محلى بصور جميلة متنوعة خاصة بالجامع منها صورة الرخامة التى نقشت عليها قصيدة الشيخ سالم بوحاجب ولا ننسى أن نذكر بالمثال للجامع الموجود بهذه الطبعة الثانية .

• اليوم الاخير :

صدر بتاريخ أفريل 1984 عن الدار التونسية للنشر كتاب « فلسفة ميخائيل نعيمة من خلال اليوم الاخير » تأليف : فرج بن حسين والطيب عمار ركز فيه المؤلفان بحثهما على دراسة كتاب نعيمة «اليوم الاخير» شكلا ومضمونا قصد ابراز الخط الفكرى لنعيمة ومحاولة الاحاطة به وبمكوناته وتبين فلسفته ذات النزعة الانسانية الوجودية الصوفية باعتبار أن كتاب « اليوم الاخير » يكاد يكون خلاصة مكتملة أو صورة تامة لآراء نعيمه في جل المسائل الهامة المتصلة بالوجود صبيحياته وماورائياته وقضاياه ذات الصلة بالكيان المعيش والاخلاقية ...

والبحث موطأ له بلمحة خاطفة عن حياة ميخائيل نعيمة وانتاجه وتقديم وجيز لكتاب « اليوم الاخير » .

• الـدولة الخفـاجية ... فى التاريـخ :

عن رابطة الادب الحديث صدر بدون تاريخ لمحمد عبد المنعم خفاجي كتيب فى « الدولة الخفاجية ... فى التاريخ » . والكاتب اعتمادا على كتب القـدامى (أمثال نهاية الارب والعقد الفريد وتجارب الامم وسنابك الذهب وأنساب العرب ورحلة ابن جبير وتاريخ ابن الاثير وابن خلدون وغيرهم) يحـاول اعطاء لمحة عن بنى خفاجة وظهورهم فى التاريخ ثم انتصابهم بالعراق وقيـام الدولة الخفاجية بها فى القرن الرابع الهجرى بضواحى الكوفة ويتعرض الى الملوك والامراء الخفاجيين واحدا واحدا خلال القرنين الرابع والخامس مضيفا معلومات عن الدولة الخفاجية فى القرون : السادس والسابع والثامن ما بين الكوفة وحلب .

وينهى الكاتب عرضه بالامير علي الجربجى خفاجي وقد هاجرت أسرته من حلب الى دمياط حيث استقرت حوالى سنة 895 هجرية .

ونشكر للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي هذا العمل الذى يقرب للقارىء ما بعد عنه ويجمع له ما تشتت من أخبار هذه الدولة التى قـامت بالعـراق والشام زمنا طويلا قبل أن ينتصر عليها العباسيون بعد حروب طويلة ويقضوا عليها فتتشتت شرقا وغربا .

وإننا لنعتبره أقل واجب يقوم به الكاتب برا بجدوده ووفاء لتاريخهم .

• تعجلـت الفـرح :

صدرت عن « دار الرياح الاربعة » للنشر بتاريخ 1985 مجموعة لعلي دب تكثر فيها محطات البكاء والحسرة والأنين والفزع :

« .. بمـن استجيـر ؟
رمـال وقيـظ ومسبحـة وعويـل ...
.. بـوم عـلى شكـل ورد ...
.. وكل الجهات مطوقة ... »

وتبدو عليها سمة الجنوب الظمآن الدائم الجفاف والقحط لكـن الصامـد كالنخلة والدفلى والواعد بجزيل الخيرات والمتشبث بأصالته والحالم بالمستقبل الأفضـل :

« ولـن تكـون النهايـات مثـل البدايـات »

ولكن من ذلك القتام المطبق ينبعث صوت الامل والايمان بالثبوت والصمود وبالنتيجة الحتمية للفعل :

« كـل صـوت يـركب البـارود صـوتي
وعويـل الثـور لـن يهـدم بيتـي
والـذي يهـرب منـي
سـوف يفنـى قبـل مـوتي »

◆ **أصـداء المجتمـع والعصـر :**

صدر عن المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان بطرابلس بتاريخ 1984 دراسة لنور الدين بلقاسم بعنوان : « أصداء المجتمع والعصر فى أدب أبى حيان التوحيدى » يقول عنها الكاتب نفسه إنها تهدف الى ابراز أصداء العصر والبيئة فى أحد أدباء القرن الرابع الهجرى وأبعاد رؤياه والى تقـديم أبى حيان التوحيدى نموذجا (وأى نموذج) حيا للاديب المتفاعل مع واقع العصر فى حين انعزل كتاب عصره منطوين على ذواتهم ومشغولين ببهـرج اللغـة العـربية وزخارفهـا .

فأبو حيان اذن يبدو تجسيدا لقضية هامة من قضايا التراث لا هى قضية الاديب القديم الذى يمارس حياته ترفا ولذة وانصرافا الى الذات وانما عاش الواقع الاجتماعى بفقره وبؤسه واختلال مقاييسه الخلقية وعاداته وخرافاته وظواهره الدينية المنحرفة ومناحيه الثقـافية المختلفـة وألبسـتـه ومآكلـه ومركوباته ودوره الخاصة والعامة بما اشتملت عليه من مختلف ومتنوع الاثاث وعانى ذلك الواقع متفاعلا معه وعاكسا اياه ومعبرا عنه بالتحليل العميق فى لغة رصينة سهلة وأسلوب بسيط .

وأبو حيان التوحيدى هو التلميذ الوفي لاستاذه الجاحظ صاحب مدرسة النثر الفنى العربى الجامعة بين فن التعبير فى جمال الشكل وقوة الفكر فى عمق المضمون .

- « وشـم على ذراع مقطوعـة » :

مجموعة قصص قصيرة للتابعي الاخضر من صميم الواقع التونسي قبـل الاستقلال زمن الاضطهاد والظلم والبؤس واستباحة الكرامة والاذلال والاستعباد والضياع في صور لو تدبرها الشباب اليوم والكثير من الكهول لعرفوا الكثير من مآسي ذلك العهد وأدركوا قيمة ما ينعمون به اليوم بفضل غيرهم ممن قضوا أو مازالوا على قيد الحياة من كرامة وعزة ونعمة .

هذا مع ما تمتاز به لغة التابعي الاخضر من غزارة وكثافة وطرافة واقناع وأسلوب من تقمص الوضوح تارة ومن ركون الى الرمز تارة أخرى لكن دائما في تحمس وصدق لاغبار عليهما ولا امكانية للشك فيهما .

- « صـلاة الغائـب » :

في سلسلة « عودة النص » صدر عن « دار سيرس للنشر » بالاشتـراك مع دار « لي سـاي » (Le Seuil) الفرنسية كتاب « صلاة الغائب » للطاهر بن جلون الكاتب المغربي في نشرة عربية من نقـل الاستاذ محمود طرشونـة في اخراج محترم وترجمة موفقة سليمة بعيدة كل البعد عن التسرع والارتجال تثرى المكتبة العربية وتعيد اليها أثرا من آثار ابنائها الذين حالت الظروف دون امتلاكهم للغتهم العربية والتعبير بها فحكمـت عليهـم بالتغريـب والتمـزق والانبتاب (اللغوى خاصة) .

- « حقيقـة عزف الغـاز النازيـة » :

هذا الكتاب هو حوار مع المؤرخ الفرنسي الكبير واستاذ التاريـخ روبيـر فوريسون أجراه مندوب مجلة « التاريخ المصور » الايطالية وترجمه عنها من الايطالية عيسى الناعوري .

ونظرية روبير فوريسون أن غرف الغاز النازية لا وجود لهـا ولا تصور لها منطقيا انما هي من اصطناع اليهود أنفسهم لاظهارهم في مظهر المضطهدين الواجب انصافهم ولتبرير وجوب ايجاد وطن لهم (اسرائيل) يجمعهم بلم شتاتهم وضمان أمنهم مع تبرير جميع مواقفهم النازية من بعد مثل مذابحهم في أرض فلسطين لبعض القرى بأجمعها وفي جنوب لبنان .

ومقدمة الكتاب بقلم الدكتور محمود (أبو مازن) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بعنوان : « للحقيقة وجه آخر » .

- « **الكافى فى البيزرة** » :

صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت بتاريخ 1983 « كتاب الكافى فى البيزرة » لعبد الرحمان بن محمد البلدى بتحقيق وتقديم وتعليق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور .

فبعد مقدمة عامة فى الصيد والصيد بالجوارح وبالبازى خاصة مع التعريف بالمؤلف وبالمصادر التى اعتمدها والمؤلفات المشهورة فى الموضوع ككتاب البزاة والصيد لأبى دلف وكتاب الصيد والجوارح للفتح بن خاقان أو كتاب الجوارح والصيد لابن المعتز وغيرها التى يبدو أن البلدى لم يكن عارفا بها وكتب أخرى هامة فى البيزرة كالجمهرة فى علوم البيزرة لعيسى بن حسان الاسدى وكتاب البيزرة للسان الدين بن الخطيب ورسالة فى الصيد بالجوارح لابى بكر القاسمى العلوى وغيرها .. يلى النص المحقق مع بعض الشروح .

والكتاب وقع تحقيقه عن نسخة فريدة محفوظة بالمكتبة الاحمدية بتونس تقع فى مائة وست وستين ورقة بخط نسخى أنيق مشكول فيه أحيانا تفنن واضح .

ويلى النص هوامش فى المصطلحات وفهارس للطيور والحيوانات والنباتات والعقاقير والاعلام والجماعات والاماكن وأخيرا كشاف للمصادر والمراجع العربية والاعجمية .

- « **ملاحظات للزمن الآتى** » :

مجموعة قصصية صدرت بدون تاريخ والمحتمل أن يكون هذه السنة 1985 وان يبدو أنها كتبت فى زمن سابق مع تباعده فيما بينها على ما يفهم من كلمة تقديم كاتبها على الحوسى والقصص نابعة اغلبها من الواقع التونسى عدا ما كان منها من وحى القضية الفلسطينية ، تصور القرية والريف ونزوح القرويين الى المدينة وخيبتهم فيها غالبا وارجاعهم اليهما عن طرق السلط كما تعطى نماذج من مشاكل المدينة واغراءاتها وأنواع الانحراف فيها ولمحات عن المقاومة الوطنية ببطولاتها وتضحياتها ومآسى مخلفاتها ولحظاتها المشرقة وبواعث الامل منها كما فيها طرح لبعض الظواهر الاجتماعية المشينة والتصرفات البائدة المخجلة غير اللائقة الناتجة عن رواسب التخلف .

◆ « **سفــر الصفــر** » :

ديوان شعر لناجي المجلاوى صادر بدون تاريـخ متنوع المادة يزخـر بالحب والحماس والحيرة والحسرة عـلى الواقع العـربى خاصة لكن هـذه الباكورة الواعدة لا تخلو من التفاؤل والأمــل :

« سينبت الصفصفاف والزيتون
سترحــل الغربــان عن ديــارنــا
ستهجــر الأوجــاع أرضنــا
وتزهــر الأحــداق والعيــون ...
وتصبــح بطاقة تعريفنـا عنــوان » .

والملاحظ أن الوتر الاخير من هذا المقطع يحتوى على خلل فى الوزن واضح.. مع أن تنوين النصب لا يمكن أن ينقلب الى (سكون) مع النكرة !

◆ « **كيــف أصــلى** » :

صدر فى سلسلة الكتب الدينية بتاريخ جانفى 1985 كتاب « كيف أصلى » للاستاذ أحمد القروى من طبع مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر بسوسة وهو كتاب مبسط فى كل ما يتعلق بالصلاة فرضها وشروطها وكيفية أدائها وأنواعها المفروضة والمستحبة ونواقض طهارتها و ... كل ذلك فى أسلوب واضح قريب المتناول بالنسبة لجميع النــاس .

◆ « **فصــول فى الأدب والثقافــة** » :

كتاب للدكتور جعفر ماجد صدر عن الدار العربية للكتاب بتاريخ 1984 جمع فيه الكاتب فصولا متباينة الأهمية متباعدة التاريخ اذ فيها الدراســة الرصينة الموجهة الى الباحثين والاختصاصيين (مثل ذلك : العلاقات الادبية بين قرطبة والقيروان فى القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة) أو (كتاب الوافى فى نظم القوافى لابى البقاء الرندى ..) وفيها المقالة التى كتبت بالمناسبة (مثل « الادب التونسى المعاصر قبل الاستقــلال : أطواره واتجاهاتــه » بمناسبــة الاسبوع الثقافى التونسى بالدوحة لعام 1979) والحديث الـذى يجرى خفيفا ظريفا عاما أو خاصا عن الأدب أو النقد أو التاريخ (محمد على الحامى ..) .

ولا يسعنا الا أن نشكر الأخ جعفر ماجد على جمعه لهذه الكتابات مــن آثاره فكفى بذلك الطالب والدارس والباحث جهد البحث وعناء الطلب وكلف الدرس بأن قربها لهم ووضعها فى متناولهم لقمة سائغة .

• « **الفرنسية فى مصر** » :

كتاب باللغة الفرنسية كان قد صدر فى جانفى 1981 عن دار نعمان للثقافة يستعرض الكتاب المصريين الذين استعملوا اللغة الفرنسية فى كتاباتهم على اختلاف أنواعها .

فبعد مقدمة فى دخول اللغة الفرنسية البلاد المصرية وانشاء الدوريات الاولى الناطقة بها ونظرة عامة على تلك الحركة منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى الى اليوم يتناول صاحب الكتاب جان جاك لوتى الاستاذ حاليا بجامعة ستوكهولم السويدية والذى أقام مدة غير قصيرة بمصر يتناول جل الكتاب الذين كتبوا باللغة الفرنسية من شعراء وقصاصين وروائيين ومسرحيين ونقاد ومؤرخين وفلاسفة فيعرف بتراجمهم ويذكر قائمة آثارهم مع مختارات منها مستعرضا هكذا ما لا يقل عن خمسين اسما من بينها اكثر من عشر نساء .

ومن الملاحظ أن هؤلاء الكتاب يمثلون النخبة الارستقراطية المصرية التى لا تمثل الحركة الثقافية المصرية ولا تجد اهتماما ولا تجاوبا من الشعب المصرى العربى اللغة والحضارة . وتقديم الكتاب من تحرير الاستاذ الكبير أوقوست فيات .

• « **الحب القصيدة** » :

مجموعة من أشعار قيس بن الملوح اختارها الاستاذ أندرى ميكال ونقلها الى اللغة الفرنسية فى كتيب لطيف بديع نشرته بتاريخ أبريل 1984 دار سندباد بباريس فى سلسلة « المكتبة العربية » .

وهذه الاشعار وغيرها وأخباره فى أمهات الكتب العربية ستغرى الاستاذ أندرى ميكال بكتابة قصة حب قيس وليلى المشهورة فى شكل رواية (Roman)

• « **ليلى هى عقلى** » :

من قصص الغرام العالمية قصة قيس بن الملوح وليلى المشهورة والمعروفة بقصة مجنون ليلى التى تخللت أخبارها وحوادثها جميع أمهات كتب الأدب العربى وها هو المستشرق الكبير أندرى ميكال يكتبها بالفرنسية رواية على نمط رواية « تريستان وايزالت » ورواية « روميو وجوليات » وغيرهما .

ورواية أندرى ميكال شيقة خفيفةالظل سهلةالقراءة محتفظة بأصالتها العربية تتخللها من حين لآخر أشعار لقيس فى ترجمة حسنة ، تحمل عنوان « ليلى هى عقلى » تولت نشرها دار لى ساى (Le seuil) بتاريخ اكتوبر 1984 .

◆ « العروبة فى شعر المهجر » :

كتاب لفريد جحا صدر منذ عشرين سنة (1965) ببيروت من نشر مكتبة رائس بعنوان « العروبة فى شعر المهجر » وليس من الخفى أن موضوع الادب المهجرى قد تناوله كتاب كثيرون منذ أكثر من نصف قرن ومن المعلوم أيضا أن هذا الادب يشمل المهاجرين من سوريا ولبنان وفلسطين الذين هاجروا الى أمريكا هروبا من الفاقة والذل فى أرض الوطن وطلبا للرزق والمجد فى المهجر بلد الحرية ومنجم الذهب .

وكتاب فريد جحا بعد مقدمة فى الهجرة وأدب المهجر يتتبع مسيرة للهجرة فى مسارها وحنين الشعراء الى الوطن ثم رجوع بعضهم اليه وتفاعلهم مع أحداثه وأثر نكبة فلسطين عليهم وكبير آمالهم فى الوحدة العربية وافتخارهم بأمجاد الأمة العربية وكفاحهم ضد الاستعمار والاستغلال وتعلقهم الشديد بعروبتهم ولغتهم هذا مع أن البعض منهم ولد بالمهجر وتعلمها فيه بحيث لم يكن له قسط وافر من ثقافتها .

وبهذه المناسبة وتعليقا على كتاب فريد جحا فاننا نذكر بأن المهاجرين العرب فى شتى بلاد الدنيا وخاصة منهم المستوطنين بأمريكا يقومون بدور هام مجيد فى تدعيم حركة العروبة ماديا ومعنويا وروحيا .

◆ « الاذاعة والتمثيلية المسموعة » :

كتاب لفاروق حيدر صادر بدون تاريخ ـ وهذا عيب فى النشر ـ فى سلسلة « دراسات وبحوث اذاعية » من منشورات اتحاد اذاعات الدول العربية .

الكتاب لمخرج معروف وذى كفاءة وتجارب عديدة بالاذاعة السورية فى موضوع ميدانى هام جدا باعتبار أن الكتابة الاذاعية تختلف لغة وأسلوبا وصعوبة عن الكتابة المسرحية والسنمائية والتلفزية اذ لا يساند الكلمة فيها لمجرد السمع أى شىء كما يكون ذلك فى غيرها باشتراك العين مع الاذن فى تلقى العمل وفهمه ومتابعته وباعتبار أن الاخراج الاذاعى هو أيضا أصعب وأدق لنفس السبب .

ويتناول الكاتب موضوعالاذاعة كوسيلةاتصال وموقعها بينوسائل الاتصال والاعلام الاخرى من صحافة ومسرح وسنما وتلفزيون ثم يتناول فن الدراما وبصفة خاصة الدراما المسموعة أو الاذاعية واعتمادا على النص يتناول تحليل كتابة المسرحية الاذاعية واخراجها مع تنبؤ استمرار التمثيلية الاذاعية ونموها وتطورها .

◆ **« مسرح فى التلفزيــون والاذاعــة » :**

صدر بتاريخ 1985 بتونس من منشورات اتحاد اذاعات الدول العربية المتفرع عن جامعة الدول العربية كتاب لعبد الله شقرون الأميــن العام لاتحــاد اذاعات الدول العربية وهو أول سلسلة « نصوص ونماذج » صدرت وفقا لتوصية اللجنة الدائمة للبرامج للجمعية العامة لاتحاد اذاعات الدول العربية فى دورتها العاشرة المنعقدة بالكويت من 6 الى 8 جانفى 1981 ونص تلــك التوصية هــو « مباركة المشروع الرامى فى المستقبل الى اخراج سلسلة جديدة من المطبوعات فى نطاق الأمانة العامة تتضمن نصوصا وبرامج من انتاج الاذاعة والتلفزيون » .

وكتاب عبد الله شقرون هذا هو الاول من هذه السلسلة ويشتمــل أولا على تمهيد يمثل محاولة أولى لدراسة حول منزلة المسرح وأشكاله فى الاذاعة المرئية والاذاعة المسموعة وثانيا على مجموعة سبع مسرحيات تلفزية واذاعية قد سبق أن وقع بثها فى وقت من الاوقات فى الاذاعة أو التلفزة المغربية بعضها مستلهم من التاريخ العربى الاسلامى وبعضها مستوحى من الحياة الفكرية والاجتماعية العربية وأريد منها عامة ابراز جوانب من الحضارة العربية الاسلاميــة وتمجيد الانسان وكفاحه والاسهام فى التوعية الاجتماعية .

◆ **« هجــرة أبــى » :**

قصة للأطفال من تأليف محمد المختار جنات كتبها فى صورة مذكرات لطفل يروى فيها كيف هاجر أبوه الى فرنسا طلبا للعمل ثــم عاد منهــا موفور الرزق فأسس ورشة أغدقت عليه المال الكثير مع ما حظى به من رعاية الحكومة تمثلت فى تسهيلات وضمانات وقروض ومسكن وغيرها .

◆ **« من أجــل سياسة تونسيــة للرياضة للجميع » :**

كتاب عن حركة الرياضة للجميع من تأليف رائد من رواد هذه الحركة فى تونس الاستاذ عبد الوهاب الشاهد للتعريف بها وبنشأتها فى تونس وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية مع السند التشريعى لها وهياكلهــا وتنظيمها بالبــلاد وتكوين الاطارات والتجهيزات الضرورية لها وفى آخر الكتاب تحليل للحملات «رياضة للجميع» فى العالم وبالخصوص فى أوربا ·

وقدم للكتاب الرياضى الكبير والمفكر الأولمبى الاستاذ محمد مــزالى الوزير الأول للجمهورية التونسية بوضوحه المألوف وشمولية نظرته للثقافة الرياضية التى يجب أن تحتل المقام اللائق بها فى طور بناء الحضارة التونسية الحديثة .

• سيـرة ابـن سينـا :

صدر كتاب « سيرة ابن سينا » بتاريخ 1982 وقد قام على تحقيقه فريد جحا ومحمود فاخورى اعتمادا خاصة على نسخ برلين ومنشن وفيين وعلى سيرة ابن سينا الذاتية التى وردت فى أمهات الكتب وبالخصوص فى « تاريـخ حكمـاء الاسلام » للبيهقى و « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطى وعيون الانبـاء فى طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة .

ووردت السيرة الذاتية هى والشروح فى صورة منسوخة بخط محمـود فاخورى يتلوها فهرسان هما فهرس الاعلام وفهرس البلدان والمواضيع وقائمة مصادر ومراجع حديثة والقسم الثانى من الكتاب هو النص الفرنسى للسيرة من ترجمة الدكتور حكمت الحمصى أستاذ الفلسفة والحقوق بجامعة حلب .

• تاريـخ العـرب الحقيقـى :

كتاب للمؤرخ بيار روسي صدر سنة 1976 عـن « المنشـورات اللاتينيـة الجديدة » تحت عنوان « مدينة إيزيس : التاريخ الحقيقى للعرب » ترجمه الى اللغة العربية فريد جحا .

وهذا الكتاب يعيد فيه مؤلفه الغربى للعرب منزلتهم الحقيقيـة وفضلهـم الكبير على الثقافة والحضارة الانسانية فى أسلوب علمى موضوعى بعيد كل البعد عن العاطفة والانحياز .

وإنه ليكفينا دليلا على ذلك هذا الاعتراف لبيار روسى بقوله : « لقد بقينا عربا فى ايماننا مثلما نحن غربيون فى شكوكنا » .

• فيكتـور هيجـو :

كتاب عن الشاعر والكاتب والمسرحى الفرنسى فيكتور هوڤـو من جمع وترجمة وتأليف فريد جحا صدر سنة 1984 ويقدمه الكاتب الى قراء العربية بمناسبة احتفال فرنسا عام 1985 وبالذكرى المئوية لوفاة هوڤـو الذى ملأ القرن التاسع عشر للادب الفرنسى (1802 ـ 1885) ويتناول الكتاب حياة هوڤو وأدبه (شعرا ونثرا ومسرحا ورسما) فى محاولة تحليل وشرح لأهم آثاره الادبية والفنية مع نماذج من كل هذه الانواع .

• **حسن كامل الصيرفي :**

صدر عن رابطة الادب الحديث بالقاهرة سنة 1985 كتاب بعنوان « حسن كامل الصيرفي وتيارات التجديد فى شعره » بقلم : الدكتور محمد سعد فشوان تناول فيه التعريف بالشاعر حياته وشخصيته وتفكيره ومذهبه من خلال مختلف ألوان شعره مع محاولة إبراز أسمات الفنية فيه من تجسيم وتشخيص وتعاطف مع الاشياء وتعبير متميز وموسيقى وتصوير متجدد .

وينتهي الكتاب ببعض المراثي التى نظمت فى الصيرفى الذى توفى أخيرا فى شهر ماى 1984 الماضى وبقائمة من المصادر والمراجع .

• **محمد لطفي جمعه :**

كتاب صدر سنة 1975 تحت عدد 5 من سلسلة « الاعلام » التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

والكتاب بقلم : رابح لطفى جمعه يقول عنه انه قضى مع صفحاته ما يقارب عشرين عاما يعيد فيها النظر ويزيد وينقص ويضيف ويحذف ويرتب ويبوب وينسق وينمق ويبحث ويقرأ ويستطلع ويستخبر ويستنبىء ويجمع ويدون مما دل على قيمة الكتاب وتحريه فيه وشمول إلمامه بالشخصية المدروسة فيه من جميع جوانبها بتتبع مراحلها المختلفة للتعريف بوجوهها الثرية المتنوعة .

ومحمد لطفي جمعه (1886 ـ 1953) زخرت حياته المديدة بالنشاط السياسى والصحافى والادبى والعلمى وشملت مؤلفاته ـ من سنة 1904 الى ما بعد موته سنة 1953 ـ الدين والتصوف والتاريخ والادب والقصة والمسرح والفلسفة والقانون والاجتماع والاقتصاد والترجمة الذاتية والسياسة .

وكتاب رابح لطفى جمعه هذا عن أبيه شامل لحياته ونضاله وتفكيره وآثاره الحافلة بجليل الاعمال ومكافحة الظالم فى سبيل الله والعلم والوطن والدعوة الى الحق والحرية والعدالة الاجتماعية .

• **زلزال فى تل أبيب :**

أصدرت الدار التونسية للنشر الطبعة الثانية لمسرحية الميدانى بن صالح الشعرية « زلزال فى تل أبيب » بتاريخ 1984 وكانت نفس الدار قد نشرت الطبعة الاولى منها سنة 1974 .

ومسرحية الميداني بن صالح وإن تناولت المأساة الفلسطينية فانها في الواقع تصور المأساة العربية عامة مأساة الانسان العربي مأساة الارض العربية مأساة الفكر العربي مأساة الشخصية العربية وفي كلمة واحدة مأساة الوجود العربي المهدد من الداخل والخارج .

والمسرحية دعوة ملحة للثورة العارمة العنيفة وللوحدة الضرورية الحق في سبيل التحرر والتحرير واسترجاع الارض والسيادة واستغلالهما استغلالا شعبيا اشتراكيا .

و « زلزال في تل أبيب » يبقى صوت تونس في أصالته العربية وتجذره فيها وتحمسه في الدفاع عن القضية العربية مع ما يرافق الشعر أحيانا من أحكام عاطفية وغلو مفرط .

• إمرأة لكل الأعوام :

صدر في سلسلة « عالم الكتب » بتاريخ 1985 مجموعة « صفحات حب » لصاحبها عبدالرحمن مجيد الربيعي والكتاب في اخراج طيب بل أنيق على ورق صقيل يغري بالقراءة وإن كانت الصور الخلفية مملة بسبب اعادتها المفرطة وقلة تنوعها مع احتفاظها كلها بنفس السمات ونفس الخطوط ونفس أشكال الرسم ونفس اللون .

أما المضمون فلا يمكن بحال أن نعتبر ما سطره الكاتب على شهرته وامكانياته وادعائه بأنه « سيد العشاق وأكثرهم فتوة » أن نعتبره الا نثرا رصف على طريقة الشعر الحديث الحر كما لا نجيز لنفسنا أن نعد هذه الاعترافات والمهاترات وإن برقت فيها من حين لآخر ومضات (على سبيل المثال : كلماتي طيور بيضاء ـ وجهك المسافر في قلبي ـ فراشة سريرها فم وردة ...) أن نعدها إبداعا شعريا فهي لا تتجاوز أن تكون مجرد نصوص نثرية تبدو أحيانا باهتة جدا والا فما قولكم في هذا المقطع : « سأذهب الى عراف المدينة ـ شأشكوك عنده ـ فيمنحني تميمة ـ أعلقها على باب بيتي ـ فتعودين إلي » أو هذا : « يا تلك ـ عندما لا تكونين ـ لا أكون ! وعندما تكونين ـ أكون » وأمثال هذه كثيرة جدا في المجموعة وشتان ما بين محتواها وما صدرت به من كلمات نزار قباني .

• **فهارس المخطوطات العربية :**

عن معهد المخطوطات العربية بالكويت المتفرع عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صدرت بتاريخ 1984 «فهارس المخطوطات العربية فى العالم» والكتاب فى جزأين من إعداد كركيس عواد جمع فيه أسماء فهارس المخطوطات العربية التى تزخر بها شتى المكتبات فى مشارق الارض ومغاربها يدخل فيها ما فى المكتبات والجوامع والأديرة والكنائس ودور الكتب العامة والوطنية ومكتبات المؤسسات من جامعات ومجامع ومتاحف وجمعيات علمية وخزائن والمكتبات الخاصة للعلماء والباحثين من عرب وشرقيين ومستشرقين فى سائر أنحاء العالم .

ومن المعلوم ان الاستاذ فؤاد سزكين كان قد حصر فى مقدمة كتابه بالالمانية « تاريخ التراث العربى » فهارس المخطوطات فى العالم ونقله الى العربية الدكتور محمود فهمى حجازى ونشرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض سنة 1982 كما ان المستشرق الالمانى كارل بروكلمان قام كذلك بحصرها فى كتابه عن التراث العربى .

هذا على سبيل التذكير والاشارة والامانة العلمية فقط .

أما كتابنا اليوم فيمسح فى جزأيه عامة البلدان العربية وغيرها شرقا وغربا بافريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا .

وهو خطوة أولى نحو المشروع الكبير الشامل الذى تولى انجازه المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية فى عمان برئاسة الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد وقد قطع فيه على ما نعلم شوطا ليس بالقصير .

والله ولى التوفيق .

• **أبو يوسف القاضى :**

صدر بتاريخ 1984 عن « دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع » بحث جامعى قام به الاستاذ الهادى الاخضر الدرثاش فى نطاق الكلية الزيتونية

للشريعة وأصول الدين عن « أبى يوسف القاضى » ويتناول البحث عصر أبى يوسف واتصاله بالأئمة والخلفاء وتلاميذه شرقا وغربا ومناحى تفكيره العلمى وقضائه .

ثم بعد التقديم لموضوع الخراج مفهومه ومدلوله وآرائه وآراء المفسرين فيه قديما وحديثا يعطى الباحث بسطة عن كتاب الخراج لأبى يوسف القاضى .

• اللسانيات من خلال النصوص :

كتاب للدكتور عبد السلام المسدى صدر بتاريخ جوان 1984 عن الدار التونسية للنشر وهو مجموعة نصوص اقتبسها صاحب الكتاب بتصرف لوضعها أداة عمل بين أيدى طلبة الجامعة التونسية خاصة طلبة « شهادة اللسانيات » و « شهادة المناهج الحديثة فى دراسة اللغة والأدب » و « شهادة التعمق فى البحث » وطلبة السنة الثالثة لاجازة اللغة والآداب العربية بدار المعلمين العليا والطلبة المترشحين للاستاذية بالمعهد الأعلى للتكوين المستمر . **والاستاذ المسدى** نفسه يقول فى تقديمه للكتاب عن مضمونه : « **هو فى مجمله نصوص منتقاة** انتخبناها ... على أساس الاقتباس والتصرف ... وهدفنا الوحيد الجدوى التربوية والابلاغ التعليمى ... » .

• قاموس اللسانيات :

كتاب للاستاذ عبد السلام المسدى أيضا صدر بتاريخ 1984 عن الدار العربية للكتاب يشتمل على قاموس ألسنى عربى فرنسى – وفرنسى عربى فى 150 صفحة بعد مقدمة شاملة ضافية فى علم المصطلح .

والكتاب أداة عمل تمهيدى للدارسين للسانيات والمهتمين بها . لا غنى لهم عنه وقد أتى لسد فراغ تشكو منه اللسانيات بحثا وتعليما .

محسن بن حميده

• من «حديث الفعل» الى «احاديث» :

«حديث الفعل» كتاب كان صدر باللغة الفرنسية وهو استجواب تحدث فيه الاستاذ محمد مزالى عن مسيرته السياسية والفكرية منذ طفولته الى أن تقلد مهمة الوزارة الاولى وقد صدر الكتاب باللغة العربية والمجلة تحت الطبع عن الشركة التونسية للتوزيع ودار الشروق وسنعود اليه فى أعدادنا القادمة .

أما «أحاديث» فهو كتاب صدر أخيرا عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للاستاذ محمد مزالى الذى كتب له مقدمة لخص فيها دواعى هذا التأليف والاسلوب الذى انتهجه فيه حيث يقول :

«.. ولهذا جاء هذا التأليف ليثبت ان القول هو مصدر الفعل، وليس غاية فى حد ذاته وان ما فعلناه ونفعله، ينبع من رؤية ثابتة وفكر واضح ومنهج فى الممارسة لا نحيد عنه وقد يلاحظ القارىء ان مواضيع هذا التآليف متعددة، لكن خطا واضحا يصل بعضها ببعض، واتجاها فكريا واخلاقيا يحتضنها حتى الانصهار وهى بذلك تمثل وحدة فكرية لا مجال للتجزئة فيها .

وقد اخترنا السهولة اسلوبا، والوضوح منهجا غايتنا ايصال الفكرة والمعلومة بامثل السبل، بعيدا عن التعقيد الذى يفقد الفكرة مدلولها، ويحطم قواعد منهجية التاثر والتاثير بين المبدع والمتلقى . فنحن اخترنا الكتابة بصعوبة ليقرأ لنا الناس بسهولة، خلافا للذين يكتبون بسهولة ليقرأ لهم الآخرون بصعوبة . فتيار التعقيد الذى افرزته فترة ما بين الحربين، وما ترتب عنه من نبذ للفعل، قد اعلن افلاسه . ولم يكن ليستميلنا ويستهوينا يوما !!

فمقولة (الانسان المأساة) قد استبدلناها بالانسان الملحمى اى الانسان الذى ينحت كيانه ويؤسس سعادته وهو يخوض ملحمة من انبل واشرف ما وجد على وجه الارض . الا وهى ملحمة الانسان يصارع ويقاوم ليبقى واقفا من دون تخاذل ولا تباك بل هو (بروميثيوس) الصامد الى الابد او ذاك المؤمن الذى لا تلين له قناة لانه يعمل لدنياه كانه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كانه يموت غدا ...»

أصداء الفكر

● **محمد مزالى فى حديث الى جريدة «الرأى العام الكويتية» :**

أجرى هذا الحديث صديقنا الاجل الصحافى سعيد فرحات ونشرته جريدة « الرأى العام الكويتية » أخيرا وقد جاء فى مقاله ما يلى :

« فى جو من الظروف المتأزمة والاحداث الهائجة المتسارعة التى تجرى على الساحة العربية وعلى الجانبين المشرقى والمغربى والمزاج الدولى المحموم الذى يدفع دفة الاحداث فى منعطفات مسرحية تراجيدية غامضة ومثيرة وفى هذا الجو الذى كانت فيه تونس تعالج جراح العدوان الاسرائيلى الغادر على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى أراضيها ، وعلى اجوائها وترابها وحققت نصـرا فى مجلس الامن الدولى بادانة هذا العدوان . كانت تونس الحكمة والعقل والاعتدال والصلابة تحتفل ــ من خلال وزارة الشؤون الثقافية ــ احتفالات أخـرى فى الفكر والادب وتدعو المفكرين والادباء والشعراء من أقطـار الـوطن العـربى لمشاركتها فى عيد « الفكر » بمناسبة مرور ثلاثين سنة على ميلادها وهى المجلة التى أسسها الاديب والمفكر والسياسى محمد مزالى عام 1955 مع بشائر فجـر الاستقلال ويترأس تحريرها الاديب والمفكر البشير بن سلامه وزير الثقـافة حاليـا .

فى هذه الاجواء السياسية والفكرية أجرت « الرأى العام » حديثا شاملا مع الوزير الاول مؤسس « الفكر » الرجل الذى أسس مدرسة للثقافة وقاد مسيرة

للكفاح فى بناء الشخصية التونسية الحديثة التى تنتمى الى المدرسة البورقيبية . والذين عرفوا محمد مزالى فى مسيرته الصلبة فى مجالات الفكر والتربية والتعريب والحداثة المفتوحة على الثقافات ، وايمانه بالشباب والرياضة كأرضية حتمية للسياسة والعمل الوطنى والقومى ، وايمانه الكبير بالثقافة العربية والانسان العربى والتراث العربى الاسلامى والانسانى معا لن يدهشهم هذا الحديث ، فهم يدركون الترابط الجوهرى الذى تتميز به شخصية مزالى فى هذه المبادىء والميادين . أما الذين يعرفون عنه شيئا دون آخر فسيجدون فى هذا الحديث أشياء جديدة عنهم لهذه الشخصية التى تتجلى فيها الاصالة والحضور الحضارى الطموح للشخصية التونسية المعاصرة بكل ابعادها الفكرية والاجتماعية والسياسية .

ومحمد مزالى يصفونه اليوم بأنه الرجل النموذج فى التوحيد بين دور الفكر والادب والثقافة والسياسة فى توجيه العمل الوطنى والقومى . وقد خاض معركة العمل من هذا المبدأ ، ومن نقطة الصفر وبلغ القمة . بدأ رحلة الالف ميل بالخطوة الاولى منذ فجر شبابه . ليس لان رحلة الالف ميل تبدأ بالخطوة الاولى بل لانه خطط للمسافة التىطمح الى سيرها ووضع فيها كل أحلام صباه وشبابه فمشى وناضل مشية المناضل الصلب الذى يستشرف ملامح الطريق وصعابها وشعابها وقرن الفكر بالعمل والمبدأ بالمنهج ومزج فلسفته من الادب والفكر والسياسة ليخرج بموقف ثابت فى التنمية الفكرية والاجتماعية والسياسية . ومن هذه الخلفية التى أعرفها عن محمد مزالى الاديب والمفكر والسياسى ، وجدت الطريق الى هذا الحوار الذى يشكل فى مضمونه وثيقة من مواقفه وأفكاره ورأيه فى رفاق الدرب والكفاح .

حين قررت أن أتوجه اليه لاجرى هذا الحديث « للرأى العام » اخبرت الصديق الشاعر عبد العزيز قاسم مدير الاذاعة والتلفزيون فى تونس ـ وكنت فى بيته ـ عندما طلبه الاستاذ محمد مزالى لامر ما وقلت له ما دمت فى طريقك الى مكتب الوزير الاول اذا سمح الظرف بلغه تحياتى ورغبتى فى

اجراء حديث . وكنت لم أره بعد بانتظار افتتاح احتفالات ندوات مجلة « الفكر » . وبعد أقل من نصف ساعة عاد الاستاذ عبد العزيز قاسم وقال لى انه يسلم عليك ويرحب باسئلتك والحديث الى « الرأى العام » وحين التقيت الوزير الاول فى افتتاح ندوات الفكر مساء الاثنين 85/10/7 قال لى على الفور خلال يومين سيتم الحديث وهكذا كان . والآن مع السؤال الاول .

محمد مزالى فى الفكر والسياسة والأدب

س : سيادة الوزير الاول هل يعنى هذا الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على صدور مجة « الفكر » وانتم فى قمة المسؤولية السياسية والفكرية بمثابة اعلان تاريخى بحتمية ارتباط الفكر والثقافة بالسياسة لصنع المستقبل ؟

ج : هذا الاحتفال هو أولا وبالذات تكريم للثقافة ورجالاتها وهو كذلك وبالخصوص تأكيد للدور القيادى الرائد الذى يلعبه المثقفون من أجل استحثاث عجلة التاريخ فى دروب التقدم والرقى . ذلك ان الثقافة هى وحدها التى تمنح الانسان شرف انسانيته وتوسع من آفاق تطلعاته وتمكنه بالتالى من التحكم فى مصيره ومن اخضاع نواميس الكون الى مشيئته .

هذا وان ارتباط الفكر والثقافة بالسياسة هو فى نظرنا منذ بدء نضالنا التحريرى من المسلمات والبديهيات ، الا أن التذكير بهذا الارتباط والتأكيد عليه أمر متحتم بالنظر الى ما نشهده فى عدد من بلدان العالم الثالث من انحراف السياسة والسياسيين نحو الغوغائية والديماغوجية الرعناء بما يتناقض مع متطلبات الثقافة الحق التى تتنافى مع الظلامية والقهر والجهل .

ان كل معركة تخوضها البشرية ضد التخلف مخسورة حتما اذا لم تدعمها كل الطاقات الثقافية ، والغريب اننا من تواتر ما لاحظنا من قيام أنظمة جاهلة تتحكم فى مقدرات الشعوب وتخنق حرية الفكر ، أصبحنا نتعجب من ان يتولى المثقف المسك بمقاليد الحكم . وكثيرا ما يطرح على بعض الناس هذا السؤال : كيف توفقون بين عملكم السياسى الثقافى ؟! وجوابى دائما هو ان عملى

الثقافى يكيف ويوجه عمل السياسى وانى لا اتصور حكما سليما لا يقوم على أسس ثقافية ، ذلك ان السياسة لا يمكن أن تكون الا أداة فى يد المثقفين لصنع المستقبل .

المسيـــرة التونسيـــة والمدرســـة البورقيبيـــة وتجربتهـــا فى التاريـــخ

س : هل كان للتاريخ دوره فى تكوين مسيرتكم ، أم أنكم قصدتم بهذه المسيرة تجربة فى التاريخ ؟

ج : هناك علاقة جدلية بين عمل الانســـان وسيرورة التاريـــخ ، واذا كان الانسان العادى يتحمل صدمات التاريخ سلبا وايجابا فان القائد المسؤول هو الذى يتحكم فى التاريخ ويكيفه بما يتوافق مع متطلبـــات الشعب ومصلحـــة الوطن وقد وقفت حياتى على مبادىء لا تتزعـــزع مهمـــا عصفت بى اعصارات الظروف وفى اعتقادى ان شرف الانسان يكمن فى ما يحـــاوله من الصمـــود والتصدى لكل القوى المقعدة عن الطموح والفعل وفى كل ما ينجزه من تغيير يقتضيه التقدم .

ومن الحتميات التى قاومتها وتغلبت عليها ان تولد المجلات الثقـــافية وان تموت فى المهد وها هى ذى مجلة « الفكر » تحتفل بثلاثينيتها مقرة العـــزم ، وقد اشتد اليوم ساعدها ، على المضى قدما فى *طريقها* الذى لا تعرف له نهاية. وما تجربة « الفكر » الا مثال لما ينبغى ان ننتهجه فى كل مسيراتنا الانمائية القائمة على مبدأى المبادرة والمثابرة .

القائـــد المسؤول هو الذى يتحكم بالتاريخ بمـــا يتوافـــق مع المصلحة الوطنيـــة

ج : هل كنتم عندما أسستم مجلة « الفكر » مع فجر الاستقلال تستشرفون

المستقبل ، وعلى ملامح ذلك الاستشراف حدث تخطيط وكفاح . أم ان الكفاح وحده وراء هذا النجاح السياسي والفكري ؟

ج : ان استشراف المستقبل شرط أساسي لصنع المستقبل ولا يمكن لاى كان ان يصيب ما يرمي اليه من اهداف بدون تخطيط وكفاح وعلى هذا الاساس قامت الملحمة التحريرية البورقيبية منذ نشأتها في بداية الثلاثينات الى اليوم ، وتلك آثارنا تدل علينا ، ومهما يكن من أمر فان ارادة الكفاح هي التي تعطي القدرة على خوض المعركة وتدعو الفكر الى التخطيط ورسم الخطط الكفيلة بتحقيق مطامح الارادة . وكان علي ان ارسم لحياتي هدفا هو خدمة المجموعة والمساهمة بكل ما أوتيت من وسائل وطاقات ظاهرة وكامنة في النهوض بالانسان ومجلة « الفكر » كانت ولم تزل في نظري وسيلة ممتازة من الوسائل التي ارتأيت وضعها تحت تصرف الثقافة العربية التونسية ومنبرا للمواهب والاقلام التي تضطلع بنحت ملامح الذاتية والمصير .

س : رافقكم الاديب والروائي الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية في رحلة البناء والعمل في الادب والفكر والسياسة . ما هو التعبير المناسب الذي يمكن وصفه به في رحلتكم ؟

ج : انقضت الآن خمس وثلاثون سنة على أول لقاء بيني وبين الاستاذ البشير بن سلامه وكان حينذاك تلميذا بالاقسام النهائية للمدرسة الصادقية التي كنت اشتغل فيها كأستاذ للفلسفة والآداب العربية . كان ذلك آخر يوم جمعة من شهر أكتوبر 1950 في نادي الجامعة الدستورية لتونس واحوازها بنهج « قرمطو » حيث يلتقي بين الحين والآخر بعض الاساتذة والتلامذة الدستوريين مع المناضلين والمسؤولين في الحزب فيتبادلون الرأي حول الحالة السياسية التي كانت تكتنف البلاد ويتناقشون في شؤون النضال وملابسات الفعل ويتزود بعضهم من بعض ، على نحو ما كان يقع في نادي قدماء المدرسة الصادقية وغيره ، مما تربت عليه ، وبه ، أجيال من التونسيين قبل استقلال الوطن .

واستقر الرأى يومئذ على ان « نتطوع » لبيع جريدة الحزب « الـرسالة » التى كانت تصدر كل يوم جمعة بالفرنسية ، وان نتوغـل بهـا فى الاحيـاء الاوروبية التى كان يشعر فيها التونسى بالغربة وحتى بالخطر ، لشدة ما كان يتشمر فيها الاجانب بالتونسيين ويضمرون لهم من الكراهية والحقد . وكنت على رأس جمع من التلاميذ يحمل كل واحد منا على ذراعه اليسرى حزمة من اعداد « الرسالة » فتجاوزنا باب سويقة وشارع لندرة ثم دخلنا شارع « روسطان » الذى يعرف اليوم بشارع الحبيب ثامر ، ووجدت نفسى فى آخر المطاف بعد ان نفدت كل النسخ التى التزمت بيعها ، صحبة عدد قليل من رفاقى الشبان ومن بينهم البشير بن سلامه .

وهكذا عرفنى وعرفته فى « الميدان » ـ كما قد يقال ـ ورغم ما كان يباعد بيننا من عوامل السن والمهنة ، وما كان للصدف من شأن فى لقائنا الاول ، فقد توفرت عناصر التعاطف والتقدير والمحبة اذ جمعنا نضال واحد تحت لواء حزب جماهيرى تحريرى واحد ومبادىء سامية مشتركة .

ثم شاء الحظ ان يتتلمذ علي فى قسم الفلسفة وان « نتزامل » بعد ذلك فى المدرسة العلوية التى اشتغل بها قيما ، وعن لاداة التعليم الاستعمـارية ان تنقلنى اليها نقلة عقاب ، وبقينا على اتصال الى ان احرزت تونس على استقلالها فكان أول من انتسب الى دار المعلمين العليا التى كان لى شـرف المساهمة فى تأسيسها بوصفى رئيسا لديوان الاستاذ الامين الشابى وزير المعارف فى ذلك الوقت اذ اردناها لبنة أولى للجامعة التونسية المرتقبة ، وأداة لتعريب التعليم وتونسته ،اطارا ومحتوى ، وظننا اننا حققنا بذلك حلما من أحلام جيلنا ، الا وهو ان نعود لهذا الوطن روحه ، فتتميز شخصيته وتزدهر ثقـافته وتشـع اشعاعـا .

والى جانب ما اتصف به البشير بن سلامه من تواضع ونزاهة ونفور من التظاهر وكفر بالتسابق الى الصفوف الامامية ، وما امتاز به من شمم وعزة نفس ، واستقام له من رهافة حس وذكاء قلب وعقل ، وما اكتسبه من قوة على

الوفاء للصداقة فى أشرف معانيها والولاء للقيم فى أنبل مفاهيمها وابقاها ، فان أبرز مقومات شخصيته اصالتها وايمانه بوطنه ومحبته العارمة له وتفانيه فى خدمته والنهوض به . وليست وطنيته ظاهرية أو سطحية ولا هى وليدة المناسبات أو قانعة بالشعارات ، كما هو الامر بالنسبة لكثير من لداته ، انها قول صادق وعمل خالص وكفاح دائب لا يني ، عمقت جذورها ولامست شيئا فشيئا أبعاد الذات الفردية والجماعية فاذا النضال تفهم خصب للثقافة ، واذا محبة الوطن موقف ايجابى من المجتمع والناس ، وتصور واضح للكرامة ، واذا المثقف مهندس يستبطن اوساع منزلته فى الكون ويعي رسالة قومه فى الدنيا فيساهم فى صنع مصيرهم الحضارى .

لذلك امتلأت نفس البشير بن سلامه اعتزازا بشرف العمل الثقافى الحق فانضم الى أسرة مجلة « الفكر » منذ تاسيسها وتطوع لرئاسة تحريرها ولا يزال يعطيها من عقله وقلبه ووقته الشىء الكثير ، فيرابط فى ساحتها ويتعب ويصبر ويصابر من أجل نجاحها ، لا تثنيه صعاب ولا يزيغ به اغراء ولا تصرفه عنها أعراض الدنيا وبهرجها ، فهو مشدود اليها لانه مشدود الى المبادىء العليا التى لا تزال مخلصة لها والغايات الثقافية السامية التى ما فتئت تسعى اليها .

والى جانب ذلك وبقطع النظر عن انتاجه فى ميدان الخلق الادبى وخاصة فى فن القصة فانه اعتنى أولا وبالذات بشؤون الثقافة التونسية الجوهرية وتيقظ الى حقيقة الفكر التونسى وواجه جوهر النقص الذى يعوقه عن الانطلاق ، وتقحم على علاج معضلاته حتى يساهم فى تحريره بحق فيتحقق التلاؤم الضرورى بين السياسة والسيادة الروحية والفكرية التى من دونها تصبح الاولى هيكلا فاقدا للروح ولا تلبث ان تتلاشى البلاد كالهباء المنثور .

هذا ما قلته فى أخى وصديقى البشير بن سلامه ضمن مقدمتى لكتابه : « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » عام 1971 ، وبعد 14 سنة ليس لى ما أضيفه الا تأكد وفاء الاخ البشير بن سلامه وأصالته وكفاءته .

س : هل تتراءى لكم صورة لما يمكن أو يجب أن يكون عليه الفكر العربي عامة ، والفكر التونسي خاصة في المستقبل ؟

ج : ان الفكر العربي ، وما الفكر التونسي الا رافد من روافده الكثيرة ، قد قدم للعروبة خصوصا وللبشرية عموما عطاءات سخية كثيرة ساعدت على الخروج بالعالم في العصر الوسيط على الأخص من الظلمات الى النور ، وكان هذا العطاء ثقافيا بالدرجة الاولى ولقد سجل التاريخ ما لقنه العرب أوربا من دروس في الطب والرياضيات والكيمياء والفلسفة وكذلك في الشعر والادب ونستطيع القول بدون ان يجادلنا في ذلك جاحد : إن النهضة الاوربية العارمة التي شهدها القرن السادس عشر ما كان لها أن تظهر لولا ما اختزنه الفكر الغربي من خمائر علمية وثقافية عربية اسلامية وصلته عن طريق اسبانيا وصقلية المسلمتين . ثم جاءت عصور الانحطاط وتقهقر الفكر العربي ردحا طويلا من الزمن ثم استفاق من جديد في بداية القرن التاسع عشر وبالرغم مما توفر من انتاج عربي غزير وجيد في معظمه نلاحظ ان هذا الفكر لم يستعد بعد ما كان له من اشعاع شامل ومن دور قيادي ايام كان مستوعبا لكل عناصر الحضارة ومدفوعا على درب التقدم بحوافز الرسالة العربية الاسلامية في أوج شبابها . ومهما يكن من أمر فاني متفائل بمستقبل الثقافة العربية بشرط أن تتوفر للمفكر والاديب وكافة المبدعين حرية التعبير وإمكانات الافادة والاستفادة وقد دأبنا في تونس على الاخذ بيد الكاتب واحاطته بالرعاية وتشجيعه ماديا ومعنويا ، وهو ما عملت على تركيزه مجلة « الفكر » بالذات اذ هي منذ انطلاقها منبر حر لكل الاقلام الاصيلة وقد نشرت فيما نشرت حتى الآثار التي لا نشاطرها الاتجاه . ولا بد أن نذكر على سبيل المثال اننا احدثنا بوزارة الشؤون الثقافية « صندوق التنمية الثقافية » تصب فيه أموال هامة متأتية من توظيف بعض الضرائب على مواد استهلاكية كمالية ، وقد لعب هذا الصندوق دورا هاما للغاية في تحريك الحياة الادبية والفنية عن طريق شراء كميات كبيرة من المنشورات وعن طريق الانفاق على مشاريع انتاج ثقافي متنوع ، بمثل هذا العمل التشجيعي وباعطاء المنتج الحريات الضرورية للابداع

وبالتزام المثقف العربي ما يحمله اياه الظرف التاريخي من مسؤوليات، يمكن للفكر العربي ان يستعيد مكانته الريادية وان يسهم اسهاما حاسما في البناء الحضاري الانساني . بيد أن هذه البديهيات لا تمنعني عن أن ألاحظ أن الفكر العربي كان قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها أكثر ازدهارا في ظل أنظمة ربما كانت متخلفة ولكنها لا تدين بالاديلوجيات المتحجرة فلا بد لنا والحالة هذه أن نقاوم معوقات الفكر على كل الجبهات جبهة المذاهب المستوردة وجبهة السلفية المتزمتة ، وذلك باعداد خطط تربوية عربية عصرية متناسقة تضمن تفتح المواهب على اختلافها وتقبل التعددية الفكرية التي تتيح الابداع باحتكاك الآراء وتلاقح الافكار . وقد خطونا في هذا الاتجاه مع الشقيقتين الجزائر والمغرب ونحن سائرون معا على الدرب من أجل توحيد المناهج والاعداد لفكر عربي مغربي جديد .

أعتبر نفسي من مدرسة بورقيبة بفكره وعطائه

س : سيادة الوزير الاول هل كان لفكر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذي يشكل مدرسة متميزة في السياسة والقيم الوطنية والثقافية اثره في ربطكم الادب والفكر والسياسة ؟

ج : ان المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة من الزعماء العرب القلائل الذين أولوا البعد الثقافي في نضالهم السياسي أهمية قصوى ، ولا غرو فهو ذو ثقافة عربية اسلامية راسخة الى جانب استيعابه الواسع للثقافة الانسانية الشاملة ، ولقد ركز كفاحه التحريري على الدفاع عن اصالة المواطن التونسي وعلى مقاومة الفرنسة والمسخ الثقافي ولكن هذا لم يمنعه من الاخذ من مقومات الثقافة العالمية المعاصرة باعتبار ذلك عنصرا من عناصر الاصالة العربية التي لم تحجم عن استيعاب الفكر اليوناني والثقافة الآسيوية العريقة وهو لم ينفك الى اليوم يدعو الى النهوض بالفكر العربي عن طريق التفاعل أخذا وعطاء ،

تأثيرا وتأثرا وانى لاعتبر نفسى احد مريدى الرئيس الحبيب بورقيبة الاوفياء من مدرسته تخرجت وبفكره الثاقب استنرت وكان من جراء ذلك ما أعمل جاهدا على تأكيده وتحقيقه من اخضاع السياسة الى العقل والابداع فى مختلف مجالات النشاط التنموى .

كيف تفكر تونس بعد الغارة الاسرائيلية

س : انتصار تونس دوليا فى ادانتها لاسرائيل ووقوف مجلس الامن مع تونس وعدم استخدام الفيتو الاميركى هل ستدعو تونس الى استراتيجية عربية جديدة ؟

ج : ان انتصار تونس فى الحصول من مجلس الامن على ادانة كاملة لا غبار عليها للغارة الاسرائيلية الغادرة وفى اقناع الولايات المتحدة على التراجع ومراجعة موقفها السلبى ، انتصار حاسم للخطة البورقيبية المحكمة التى عودتنا على التغلب على كل الصعاب وعلى الخروج المشرف الايجابى من كل الازمات والمآزق ... وفى اعتقادنا ان السياسة البورقيبية ترسم الطرق الناجعة الممكنة للوصول الى اهدافنا القومية .

وهى تشكل استراتيجية عربية غير جديدة اذ هى جربت فصحت وطالما دعا الرئيس الحبيب بورقيبة الى توخيها بما ينبغى من حزم ومن حرص على الحفاظ على الاصل ومن مرونة فى التعامل فيما يتعلق بالفروع بالاضافة الى ضرورة توحيد الصف العربى باجتناب التطرف والمزايدات التى اثبتت عدم جدواها منذ البداية .

ومن شروط نجاح هذه الاستراتيجية كذلك وبالخصوص ما لم ينفك المجاهد الاكبر ينادى به من ضرورة استيعاب علوم العصر والاخذ باسباب التكنلوجيا المتطورة حتى يصل الوطن العربى درجة الاكتفاء الذاتى علميا واقتصاديا

وعسكريا ذلك هو الاستقلال الحقيقى وتلك هى مقومات الذود عنه واكساب الوطن ما يطمح اليه من عزة ومناعة .

ولقدسبق للرئيس الحبيب بورقيبة ان قال كلمته بخصوص الاستراتيجية العربية وذلك فى قمة نوفمبر 1979 اذ دعا الى القيام بأعمال حينية واعمال طويلة الامد مؤكدا على ان الصراع مع العدو الصهيونى انما هو قبل كل شىء صراع حضارى وتكنلوجى فلا مخرج للامة العربية فى محنتها الا بالاستعداد ماديا ومعنويا لخوض المعركة .

لن نتخلى عن الثورة الفلسطينيــة رغم الداء حتــى تحقيق النصر

س : ما تأثير العدوان الاسرائيلى الغادر على مقر منظمة التحرير الفلسطينية والشعب التونسى على علاقة تونس بمنظمة التحرير الفلسطينية ؟

ج : ان اشقاءنا الفلسطينيين تعرضوا معنا الى عـدوان وحشـى ونحـن متضامنون معهم فى السراء والضراء فقضيتهم قضيتنا ولن تثنينا الاعتداءات عن مواقفنا الواضحة الدائمة ازاء فلسطين ولقد سبق لتونس ان تعرضت لعدوان الجيش الفرنسى فى عين دراهم وحيدرة وخاصة فى قـرية سـاقية سيـدى يوسف فى فيفرى 1958 حيث اختلطت دمـاء التونسيين مع دمـاء أشقائهم الجزائريين ورغم القنابل ورغم التهديد ومختلف الضغوط لم تتراجع تونس فى وقوفها الى جانب الثورة الجزائرية حتى النصر ... كذلك نحن واقفون دائما رغم الداء والاعداء الى جانب الثورة الفلسطينية حتى النصـر القـريب « ان شـاء اللـه » .

● حوار مع الاديب المصرى حسنى سيد لبيب :

الاستاذ حسنى سيد لبيب فى سطور : قاص مصرى . ولـد عـام 1942 بحي بولاق . أحد احياء القاهرة القديمة . يوالى نشر كتاباته منـذ عـام

1963 فى مصر والبلاد العربية الاخرى . يتضمن نتاجه الادبى القصة والمقال والدراسة والترجمة اصدر عام 1977 كتاب (باقة حب) وهى دراسة عن الشاعر المصرى خليل جرجس خليل وشارك فى كتاب (رستم كيلانى لمحات من حياته وأعماله) الصادر عام 1980 . وفى عام 1981 اصدر مجموعته القصصية (حياة جديدة) واشترك فى كتاب (أدباء الجيل يتحدثون) وله كتاب بعنوان : قراءة فى الادب قيد الطبع بتونس . وقد اتصل به الصديق الشاعر عبد الله القاسمى وأجرى معه حديثا نشرته جريدة « الاخبار » فى عددها الصادر فى نوفمبر 1985 هذا نصه :

س : هل تعتقدون ان مجلة « الفكر » ساهمت فى التعريف بالادب التونسى ، وهل لكم اطلاع على هذا الادب عبر قنوات أخرى ؟

ج : نعم ساهمت مجلة « الفكر » فى التعريف بالادب التونسى ، ولها فضل الريادة بما أتاحته للادباء والمبدعين من فرصة النشر ، بعيدا عن الايديلوجيات . كما شجعت شباب الادباء وأخذت بأيديهم ، ونشرت تجاربهم الابداعية . اما اطلاعى على الادب التونسى ، فيرجع الى عشق قديم لاشعار أبى القاسم الشابى التى كنت أشدو بها وأنا طالب ثانوى . كما أن صلاتى مبثوثة بهذا الادب من خلال مجلتى « الفكر » و « قصص » . ولى صلات بادباء تونسيين بادروا بتزويدى بكتب أدبية وفكرية . واليهم يرجع الفضل فى قراءة هذا الادب ، أذكر منهم الاديب الباحث رشيد الذوادى والشاعر الصادق شرف والقاص محمد الهادى بن صالح . كما أتابع الادب التونسى من خلال ما ينشر منه وعنه فى الدوريات الادبية التى تصدر فى المشرق ، وان كان ما ينشر فى هذا المجال قليل جدا . ويبدو ان طموح الادباء التونسيين ينحصر فى ما ينشرون داخل تونس ، باستثناء قلة وجدت فى الانتشار وسيلة لذيوع أدبها . كما قمت بزيارتين أدبيتين الى تونس ، كانتا اعظم وسيلة للاقتراب من المجتمع التونسى الذى أقرأ عنه . وعقد لقاءات مع الادباء التونسيين .

س : من خلال معاشرتكم الطويلة للنصوص الادبية التونسية ، كيف تقيمونها ؟ هل هى متميزة عن النصوص الادبية فى المشرق العربى أم هى أصداء لها ؟

ج : لا أستطيع الجزم بأن النصوص الادبية التونسية هى أصداء لكتابات مشرقية . فالادب التونسى له مذاق خاص ولون متميز . وان كنت لا أنكر ان هناك تأثرا ما ، وخاصة بالادب المصرى ، لا سيما ان اغلب الادباء التونسيين وثيقوا الصلة بهذا الادب . وقد أعجبنى كثيرا حرص الاديب التونسى على التعبير عن هويته التونسية وتأصيلها . فالادب الحق هو الذى ينطلق من ترابه الوطنى ، معبرا عن همومه ومعاناته . وهذا لا يعنى العزلة أو الانغلاق ، وانما الاديب كالشجرة الخضراء ، تمتد جذورها فى الارض فتستقيم وتسمق، وتمتد فروعها الخضراء فى كل اتجاه . وما لم تمتد الجذور فى عمق الارض ، ما استطاعت الشجرة البقاء والاخضرار من هذا أجد (التونسة) تعنى تأصيل الهوية التونسية ، وتعنى أيضا التفتح على ثقافات الامم الاخرى . وهذا المعنى يؤكده الاستاذ محمد مزالى فى كتاباته .

س : تحدث النقاد عن ازمة الابداع وتحدث المبدعون عن ازمة النقد ، فكيف تنظرون الى هذه المسألة باعتباركم ناقدا ومبدعا ؟

ج : على الصعيد العربى ، الابداع الادبى غزير والحمد لله . ولكن تنشأ ازمة الابداع فى رأيى اذا انعزل المبدع عن قارئه ، قاصدا التعالى عنه ، أو جره الى نوعية من القضايا لا تهمه فى شىء . واذا ما انصرف القارىء عن العمل الادبى ، فقد العمل حيويته . ولا يفيد فى هذه الحالة رأى ناقد فى أهمية وقيمة هذا العمل ، لانه ينبغى أن تكون العلاقة وطيدة بين المبدع والمتلقى ، واذا ضعفت العلاقة ، فقد العمل الابداعى مبررات وجوده .

اما أزمة النقد ، فلها ظواهر عديدة ، منها ولوج أقلام كثيرة ساحة النقد بدون التسلح بالثقافة والوعى ، وانصراف النقاد الجادين عن متابعة الابداع

الادبى وتقييمه وهنالك فئة من النقاد تنبرى للكتابة عن النتاج الادبى بطريقة مبتسرة ، بمعنى التعجل فى الكتابة النقدية بدون تذوق العمل الادبى موضوع النقد ، فيصير نقدهم أقرب الى الاحكام العامة والقوالب المحفوظة . كما تبلغ ازمة النقد مداها ، اذا ما لمسنا انصراف الناقد الى رصد اتجاه أدبى دون سواه ، أو بما يعرف عندنا بالشللية ، بمعنى أن كل ناقد له مجموعة أدباء يتحدث عنهم ولا يمتد الاهتمام الى غيرهم ، ومن هذا المنطلق يفقد النقد موضوعيته وأصالته .

وهناك أعمال أدبية تنشر ولا يتكلم عنها أحد ، رغم قيمتها وأهميتها ، وأعمال أدبية تنشر فتصير حديث الناس رغم تفاهتها . وهذا يرجع الى دور الاعلام الصحفى ، الذى يسلط الاضواء على عمل أدبى ويتجاهل عملا أدبيا آخر . وفى هذا ، نجد الصحافة قد جنت على الادب بقدر ما أفادته .

وتنحل أزمة الابداع والنقد ، اذا ما نجحنا فى استقطاب القارىء وحببنا اليه القراءة الادبية . واذا ما اتسعت القاعدة العريضة من قراء الادب وعشاقه ، أى أصبح أدبنا مقروءا ، فقد نجح المبدع والناقد . كما لا يغيب عن الاذهان أن القارىء خير ناقد ، واليه نتوجه بكتاباتنا الادبية ، ابداعا ونقدا .

● **بين «الفكر» التونسية و «العربى» الكويتية صلات قديمة وعلاقات وطيدة :**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « مرآة الوسط » بقلم مديرها الصديق محمود الحرشانى مقالا فى عددها الصادر بتاريخ 1985/10/25 :

احتفلنا فى طليعة شهر أكتوبر 1985 ، بمرور ثلاثين سنة على صدور مجلة « الكفر » ... واحتفلت جريدتنا ، الى جانب بقية الصحف والاجهزة الاعلامية الاخرى ، بهذا الحدث الثقافى والاعلامى الكبير ... وقد كتبت فى العدد الماضى ، معلقا على هذا الحدث الثقافى : ان مجلة « الفكر » بعمرها الطويل هذا ، استطاعت على امتداد ثلاثين سنة ، ان تحمل لواء الصحوة الفكرية فى

تونس .. وسوف لن يكتب تاريخ الفكر التونسي الحديث في المستقبل دون الرجوع الى مجلة « الفكر » ... هذه التي تحولت الى معلم ثقافي من معالم تونس الثقافية .. وقليلة هي المجلات الثقافية ، في عالمنا العربي التي استطاعت ان تواصل الصدور بدون انقطاع على امتداد ثلاثين سنة ...

وقد رجعت هذا الاسبوع ، الى بعض اعداد مجلة « العربي » الكويتية ، وهي من المجلات ، التي يحلو لي أن أقضي معها بعض أوقات فراغي ، وأنا سعيد أيما سعادة ، لما تزخر به هذه المجلة من مواضيع قيمة ودراسات وبحوث ، لا تتناول الواحد منها ، حتى تجدك مشدودا الى قراءته حتى النهاية .

قلت ، رجعت ، هذا الاسبوع ، الى بعض اعداد مجلة « العربي » ، التمس الافادة .. فاذا بي اعثر على وثيقة هامة ... لم يسبق نشرها ، الى حد علمي في الصحافة التونسية ... وهذه الوثيقة ، تتمثل في صورة تاريخية لمؤسس « الفكر » وباعثها ، الاستاذ محمد مزالي ، في مكتب أول رئيس لمجلة « العربي »، المرحوم الدكتور أحمد زكي ...



هذه الصورة تعود الى سنة 1958 ، ويظهر فيها مؤسس مجلة « الفكر » ، فى مكتب رئيس تحرير مجلة « العربى » الى جانب نخبة من الكتاب والمثقفين العرب ، ومن بينهم ، أذكر فضيلة المرحوم الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور ، وشاعر صفاقس ، الاستاذ محمد الشعبونى ، والاستاذ عبد الهادى التازى سفير المغرب ببغداد فى ذلك الوقت ، والاستاذ أحمد السقاف ، والاستاذ محمود شوقى الايوبى ، والدكتور محمود السمرة ، مساعد رئيس تحرير مجلة « العربى » ، فى ذلك الوقت ، وقد كان مهتما بتقديم الكتب الجديدة الى قراء المجلة فى كل عدد يصدر منها ...

وتعليقى على هذه الصورة النادرة ، أركزه على متانة العلاقات ، التى جمعت بين مجلتين تتساويان فى القيمة الفكرية والثقافية ، استطاعتا أن تشكلا الجناحين الثقافيين للوطن العربى ، فاذا كانت مجلة « الفكر » التونسية ، قد استطاعت أن تكون دوحة الفكر الصافى فى تونس وبلدان المغرب العربى ، وشمال افريقيا فان مجلة « العربى » استطاعت أن تكون دوحة الفكر الصافى فى منطقة الكويت والخليج العربى والمشرق وانى أوجه عبر هذه الصفحة نداء الى الصديق الاستاذ محمد الشعبونى ، لكى يكتب لنا عن ذكرياته عن هذا الحدث أو ما توحى به الصورة التى تعود الى سنة 1958 والتى ننشرها مع هذا المقال من ذكريات...ونحن فى انتظار خواطره لنفيد بها قراء مرآة الوسط...

وفعلا لقد استجاب الاستاذ الشاعر محمد الشعبونى مشكورا لدعوة « مرآة الوسط » وكتب اليها مقالا يخاطب فيه مديرها .. هذا نصه :

ابنى العزيز الاستاذ محمود الحرشانى ، وفاء وتلبية ، وبعد فقد كان لندائك الاخير فى نفسى خير منبه لها على الاستجابة . وقد بعثت فى الصورة المنشورة بالعدد الاخير خواطركانت تعيش بأعماق روحى جاء نداؤك ليحركها، ويعرض بعض الذكريات التى انطلقت منها تلك الصورة التاريخية الغالية .

لا بد قبل التعرض الى تاريخ تلك الصورة ان أشير الى أن وفدا تونسيا برئاسة الاستاذ محمد مزالى وعضوية الاخوة : محمد الفاضل ابن عاشور ،

ومحمود الباجي ، ومحمد الشعبوني ، قد ساهم في مؤتمر أدباء العرب في دورته الرابعة المنعقدة بالكويت (ديسمبر 1958) وقد كان نشاط الوفد ملحوظا في رحاب المؤتمر فزيادة عن المشاركة في أعمال اللجان والقيام بجولات مفيدة في كل مكان كان لرئيس الوفد الاستاذ محمد مزالي دور كبير في تمثيل تونس والدفاع عنها وقد حيى باسم تونس جميع المؤتمرين ، وألقى دراسة قيمة حول البطولة كما يصورها الادب العربي في الاندلس وشمال افريقيا ، كما قام الاستاذ الفاضل ابن عاشور بتعليق هام حول محاضرة الاستاذين سهيل ادريس وعبد الرزاق البصير ، وكان لصاحب هذه السطور مهمة ارسال تحية شعرية بعنوان (تحية تونس) طالعها :

حي أهل الضاد يا شعر وناد بانتصار الفكر في كل البلاد

ألقيت يوم الثلاثاء الثالث والعشرين ديسمبر 1958 .

وكذلك الامر بالنسبة الى الصديق محمد الباجي فقد كان مطلع قصيده :

الا هكذا تبنى العروبة مجدها وتجمعها الآداب والمثل العليا

وكانت اقامة وفد تونس بالدار رقم 3 بالصليبيخات ضواحي الكويت اما الاجتماعات فكان يدور معظمها بقاعة معهد الشويخ بالكويت .

وكان لوفدنا لقاءان مع الدكتور أحمد زكي صاحب مجلة « العربي » ، فالاول كان بمنزله حيث قضينا سهرة ممتعة لن ننساها . والثاني كان بادارة مجلة « العربي » (المطبوعات) وحضرها الى جانبنا عدد من أعضاء الوفود ـ واذا تأملت الصورة المذكورة فانك تجد بها في الصف الأعلى وفوق : 1) أحمد زكي (مدير « العربي ») ، 2) وأخ على يمينه لم يحضرني اسمه ، 3) محمد الشعبوني ، 4) عبد الكبير القيسي ، 5) محمد مزالي ، وبالصف الثاني الى اليمين : 1) محمد الفاضل ابن عاشور ، 2) أحمد سقاف ، 3) عبد الهادي التازي ، 4) الدكتور محمود السمرة ، 5) محمود شوقي الايوبي (دليل الوفد التونسي) ، 6) سعد البوادري ، والصورة أخذت في مكتب

رئيس تحرير مجلة « العربي » ، بتاريخ يوم السبت 27 ديسمبر 1958 — وقد نشرت هذه الصورة بمجلة « العربي » في جانفي 1984 (العدد الممتاز) ونشرت ببعض الصحف التونسية — منها مجلة « الاذاعة » في اعدادها الاخيرة .

هذا وكان دليلنا في هذه الزيارة الاديب الشاعر محمود شوقي الايوبي (الذى انتقل الى رحمة الله) وقد أهدانا مجموعة من دواوينه الشعرية وكان لنا أحسن رفيق ولمن يريد زيادة الاطلاع على مشاركة الوفد التونسي فليرجع الى العدد الخاص بالبطولة في الادب العربي وهو العدد 5 من السنة الرابعة (فيفرى 1959) أو ليعد الى صحيفة المؤتمر ففيها تفاصيل عن أيام المؤتمر لا توجد في غيرها وفي كتاب (المؤتمر الرابع للادباء بالكويت) صور وتعليقات ونكت حول المؤتمر مبثوثة في صفحات هذا الكتاب .

نعم ان قصة الصورة تشير بوضوح الى مدى ما يربط بين اخوة الحرف من صلات فـ « الفكر » في شخص (محمد مزالي) و « العربي » في شخص (أحمد زكي) يمثلان صورة من صور الالتحام الادبي والتبادل الثقافي واذا كانت « العربي » ظهرت في شهر ديسمبر 1958 فان « الفكر » سبقتها في الظهور حيث ظهر أول عدد منها في أكتوبر 1955 وقد استطاع الاستاذ محمد مزالي في كواليس المؤتمر ان يقدم للمؤتمرين اعدادا من مجلة « الفكر » تلقفوها وأحلوها محل السواد من البياض . وبالمناسبة قد جرى حوار بين أعضاء الوفد التونسي حول مقارنة بين « الفكر » و « العربي » في أسلوب الاخراج ومازلت أتذكر رأى الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور الذى أصر على ان « الفكر » تعتبر لديه مجلة لم تدخلها يد الزخرف . وكثرة التلوين . ووفرة المصاريف فكانت بحق بكرا محتوى واخراجا بينما « العربي » أو (الحديث عن الاسلوب) يستدعى نفقات كبرى من أجل الاخراج والالوان والصور وان عددا واحدا من « العربي » يمكن ان يوفر لنا طبع عشرة أعداد من « الفكر » ، فالشيخ الفاضل رحمه الله كان يهتم بالجوهر ، والاصالة مثل اهتمامه بالمظهر

طبعا لكنه يؤثر الصفاء والطبيعة ، على أى اعتبار آخر ، وها هى « الفكـر » وها هى « العـربى » فى طريقهما نحو خدمة الضاد والمعرفة يسيران بـروح واحدة وان اختلفتا شكلا ومظهرا ، تلك هى الخواطـر التى أوحت بهـا إلي الصورة التى ادرجتها (مرأة الوسط) النشيطة . وتحية الى السيد الحازم محمود الحرشانى على ندائه ولربما نشرت (المـرأة) قصة رحلتى الى الكويت 1958 يوما يوما وساعة ساعة وشكرا والسلام .

● مصطفى الفارسى عضو الشرف فى رابطة الكتاب الاردنيين :

بقرار من الهيئة الادارية لرابطة الكتاب الاردنيين فى اجتماعها رقم : 15 المنعقد يوم 1985/9/29 تم ترشيح الاديب مصطفى الفارسى لعضويةالشرففى الرابطة تقديرا لما له من عطاء ابداعى فى حركة الثقافة العربية المعاصرة ولما له من مواقف عبر عنها فى كتاباته وحضوره فى الواقع الفكرى والادبى .

ونحن إذ نورد هذا الخبر نرجو لصديقنا الاديب مصطفى الفارسىكلالتوفيق ونأمل أن يكون التعاون الثقافى بين تونس والاردن فى مستوى اعـادة بنـاء الأمة بأبعادها الانسانية والتقدمية .

● مسابقة يوم الكتاب بعاصمة الدخلة :

فى نطاق التعريف بالانتاج التونسى والحث على مطـالعته ، وبمنـاسبة الاحتفال بيوم الكتاب (ككل سنة) تجرى جمعية أحباء المكتبـة والكتـاب بمنزل تميم مسابقة بين رواد المكتبة فى النصف الثانى من شهر نوفمبر 1985 بقاعة المكتبة ، أسئلتها عن الكتب التونسية التى تداولهـا القـراء وخاصة الكتب الآتية :

ـ 1) دراسات للاستاذ محمد مزالى

ـ 2) الشخصية التونسية: خصائصها ومقوماتها للاستاذ البشير بنسلامه

ـ 3) وأجهش بالغضب للشاعر الصادق شرف

ــ 4) مثل عليا من خلق الاسلام للاستاذ محمود الباجى

ــ 5) رواد الاصلاح للاستاذ رشيد الذوادى

ــ 6) ونصيبى من الأفق للاستاذ عبد القادر بن الشيخ

ــ 7) التجاعيد للاديبة ناجية ثامر

ــ 8) عندما يغربل التراب للاديب محمد الحموسى الحناشى

ــ 9) سبل النجاة فى السعى الى الصلاة للاستاذ أحمد باباى

ــ 10) من حكايات خالى عزيز للاديب الصادق شرف

● **رائد الفضاء العربى الاول فى تونس :**

حل بتونس فى 2 نوفمبر 1985 رائد الفضاء العربى الاول الامير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز بدعوة من الجمعية التونسية للاتصال والمعهد المتوسطى للاعـلام .

وشارك الامير فى ندوة عن البث التلفزى المباشر عبر الاقمار الصناعية.

وبهذه المناسبة نسلط بعض الاضواء حول رحلة الامير رائد الفضاء المسلم العربى فى مكوك الفضاء ديسكوفرى التى تعتبر حدثا تاريخيا شمل المملكة العربية السعودية والعالم العربى والاسلامى .

فقد تابعت الامة العربية الاسلامية هذا الحدث التاريخى يوم 14 جوان 1985 الذى وافق يوم الجمعة وليلة القدر أى السادس والعشرين من شهر رمضان المبـارك 1405 هـ.

وقد رافق الامير فى هذه الرحلة ست رواد فضاء آخرين واستغرقت الرحلة سبعـة أيـام .

وقد تمكن المكوك من أن يدور حول الكرة الارضية 112 دورة على ارتفاع بين 350 و 352 كيلمتر منها 49 دورة فوق الاراضى السعـودية حيث التقط رائد الفضاء المسلم صورة لمناطق جنوب المملكة .

وشملت تجارب الامير العربى فى رحلته الفضائية تجربة فصل السوائل حيث تم اختيار عينات من النفوط السعودية والكويتية والجزائرية .

وشارك الامير أيضا فى التجربة الفرنسية التى قام بها رائـد الفضـاء الفرنسى لدراسة نمو الجسم البشرى فى حالة انعدام التوازن اضافة الى تجارب حـول الغـازات .

وفى هذه الرحلة التاريخية تم وضع القمر الصناعى العـربى الثـانى فى مـداره الانتقـالى .

وقد كانت هذه الرحلة الاولى من نوعها التى تنظمها وكالة الفضاء الامريكية « نـاسـا » لرواد فضاء أجانب .

• **اكتشاف مدرسة طبية قديمة باليمن :**

فى محاضرة ألقاها فى المؤتمر التاسع والعشرين لتاريخ الطـب المنعقد بالقاهـرة يوم 19 فيفرى 1984 وبحضور مندوبين عن أربع وخمسين دولة عربية وأجنبية أعلن الدكتور غالب الحديدى عالم الحضارة العربية الاسلامية، والامين العام للجمعية العالمية لاحياء التراث الاسلامى عن اكتشافه لاول مدرسة طبية باليمن يرجع تاريخها الى العصر السبئى ، وقد اعتبرت مجلة تاريخ الطب «هيستوريا ميديكا» فى عددها الصادر بتاريخ 9 جانفى 1985 هذا الاكتشاف «أهم كشف تاريخى طبى تم فى عام 1984» وقد توصل هذا الاكتشاف الى تأكيد وجود مدرسة طبية مشهورة فى جنوب شبه الجزيرة العربية فى اليمن ، وأن العرب قد نهلوا علومهم الطبية من هذا المنبع وليس من اليونان .

• **تونسي يقود بنجاح فرقة موسيقية عالمية شهيرة :**

أوردت وكالات الانباء العالمية فى النصف الاول من شهر مارس 1985 خبر تألق فنان تونسي عند قيامه بقيادة فرقة موسيقية أجنبية كبيرة ، ففى مدينة فيلونس عاصمة جمهورية ليتوانيا السوفياتية وضمن أمسية للموسيقى الكلاسيكية قاد الفنان التونسي أحمد عاشور بحنكة ومعرفة الفرقة السمفونية الليتوانية الشهيرة التى قدمت بالمناسبة روائع باخ وموزارت وبيتهوفن وتشايكوفسكى ، وأكد مدير فرقة الفيلهارمونيا الليتوانية فى تصريح لوكالة الانباء السوفياتية «ان الضيف القادم من تونس البعيدة يتميز بروح الاصالة والذاتية فى تفهم الاعمال الموسيقية ، ولهذا فان الحفلة التى أجراها عندنا كانت حدثا مشهورا فى الحياة الموسيقية لجمهورية ليتوانيا» .

• **ملتقى الكتاب المدرسي والنظام التربوي :**

نظم مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بنزل البلفدار بالعاصمة فى الفترة الفاصلة بين 25 و 30 مارس 1985 ملتقى « الكتاب المدرسي والنظام التربوي » وذلك بمشاركة العديد من الاخصائيين نذكر منهم بالخصوص السادة : عبد الوهاب بوحديبة ، يوسف الامين الشنيتي ، هشام بوقمره ، المنجي الشملي ، عبد المجيد عطيه ، محمد الكناني قسومه وغيرهم .. وقد تمحورت المداخلات حول أربع عناصر هامة (مكانة الكتاب المدرسي فى العملية التربوية ، منهجية تحليل المحتوى وتقييم الكتب ، مضامين الكتب والوسائل التعليمية ، طرق تأليف الكتاب المدرسي ، نماذج من تحليل الكتب المدرسية) .

• **الثقافة والذاتية :**

شهدت العاصمة الكنديه «مونريال» على مدى ثلاثة أيام (من 24 الى 27 أفريل 1985) انعقاد مؤتمرا عالميا تحت شعار «ذاتية للتحديد ، أولياء محل احتجاج وشباب مرفوض » نظمته مؤسسة البحث فى التوجه الانسانى التى

أسسها ويشرف عليها الاستاذ المنصف القيطوني • وقد نزل السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية ضيفا شرفيا على المؤتمر ، وألقى بالمناسبة محاضرة قيمة حول «الثقافة والذاتية» تناولتها وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية بالتغطية والتنويه •

• أزمة أم مرحلة انتقالية ؟ :

«هل العرب والمسلمون يمرون بفترة الانحلال أم أنهم يعبرون مرحلة من التوتر تبشر بتطور ؟» للاجابة عن هذا السؤال اجتمعت بباريس أخيرا أربع شخصيات فكرية : «مكسيم رودنسون» (عالم اجتماع) ، «دومينيك شيفالييه» (عالم سياسة) ، «محمد عرقون» (عالم انثروبولوجيا) و «رجاء جارودى» (فيلسوف) ••• وجاءت اجاباتهم متباينة ••• «فرودنسون» يعتبر أن الازمة أصلا هى أزمة سياسة وثقافة ••• ويؤكد «شيفالييه» أن العالم العربى الاسلامى يعيش حالة من التوتر الممتد حول بعض النقاط الرئيسية مثل المسألة اللبنانية والمشكلة الفلسطينية ولا يعيش حالة أزمة •• وأشار «جارودى» الى أن الذى أفلس هو النموذج الغربى للنمو والثقافة والاتصال وليس النموذج الموجود فى الشرق •

• الانسان العربى والعطاء العلمى :

انعقدت بالعاصمة الاردنية ، عمان فى الفترة الفاصلة بين 13 و 16 ماى 1985 ندوة فكرية حول «تهيئة الانسان العربى للعطاء العلمى» أشرف على تنظيمها مركز دراسات الوحدة العربية ، وقد شهد برنامج الندوة مناقشة خمسة عشر بحثا انصهرت داخل أربعة محاور هى :

- العلم والمجتمع •
- دور المؤسسات فى تحقيق التكوين والعطاء العلمى •
- السياسة العلمية •
- النظرة المستقبلية •